جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الشخصيةوأثرها في خيال العامَّة الأدبي

(عنترة والحجاج نموذجا)

الدكتور
محمد عمر أبوضيف محمد
أستاذ الأدب والنقد المساعد
فى كلية اللغة العربية بجرجا

العدد التاسع عشر
للعام ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م
الجزء الثانى
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٥م
الترقيم الدولى ISSN 2356-9050

الحمد لله وكفي وسلام علي عباده الذين اصطفي وأزكي صلاة الله وســـلامه علي نبينا المصطفي

وبعد

فكما تتأثر العامة بالأدب تؤثر فيه ، وترفده وتغذيه بأحداث ووقائع ، قد تكون واقعية ، وقد تكون مخترعة وخيالية ، وتري في هذه الأحداث – سواء أكانت نثرا أو شعرا– أساليب له خصوصية ، وأخيلة محلقة، وألفاظا جديدة ، وصورة مبتكرة أحيانا ؛ مما يطرب به ويلذ قراء الأدب وشداته ، ويفتح للأدباء والمبدعين أبوابا جديدة ، ويمدهم بأفكار مستحدثة ؛ مما يساهم في إذكاء الأدب وإثرائه ، مع أن هذا الأدب ليس له مؤلف معروف ، ولا مبدع محدد ، بل – عند البحث والفحص – لا تجد له مبدعا إلا العوام وخيالهم ، وهذا كثير في كل أدب سيما أدبنا العربي وتراثنا الشرقي ، ولهذا كان هذا البحث وجاءت فكرته لتؤيد هذا الاستنباط وتعزز تلك الرؤية ، وتضع لها الدليل المحسوس والبرهان الملموس من تراثنا وأدبنا ، وقد استشهدت بمثلين مشهورين – وإن كانت الأمثلة كثيرة– أحدهما للشخصية المحبوبة للعامة، والأخرى للمكروهة لها، وأثر تلك العاطفة في الخيال ، الذي يخترع لكل شخصية وينحل عليها ما يؤيد حبه أو ما ينفيه ويؤيد الكره ويبينه، وقد جاء البحث في:

المقدمة .

ومدخل بعنوان : الشخصية وأثرها.

والمبحث الأول بعنوان : الشخصية المحبوبة : (عنترة بن شداد)

المطلب الأول بعنوان : من عنترة ؟.

المطلب الثاني بعنوان: عقدة أورثت الشجاعة .

المطلب الثالث بعنوان: الشجاعة وخيال العامة.

المطلب الرابع بعنوان: ملحمة عنترة وسيرته .

المبحث الثاني بعنوان :الشخصية المكروهة : (الحجاج بن يوسف الثقفي)

المطلب الأول بعنوان: بين الميلاد والوفاة.

المطلب الثاني بعنوان: خيال العامة وقصص الحجاج.

(القصة الأولي: الحجاج والشاب والفتاة)

من دلائل تزييف خيال العامة للقصة .

(القصة الثانية : الحجاج والمرأة)

من دلائل تزييف خيال العامة للقصة.

(القصة الثالثة:الحجاج والطفل)

بيان تزييف خيال العامة للقصة.

آملا من الله أن يكون البحث موفقا، مصيبا لوجه الحق ، وأن يفتح بابا جديد يلج من خلاله الباحثون لاستيفاء هذه القضية ..والله المستعان وعليه التكلان ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

مدخل : الشخصية وأثرها

تعدد المعرفون للفظ (الشخصية) حتى وصلوا إلى خمسين تعريفاً تقريباً، وأقربها التعريف الآتي :

(هي مجموع الخصال والطباع المتنوعة الموجودة في كيان الشخص باستمرار ، والتي تميزه عن غيره وتنعكس على تفاعله مع البيئة من حوله بما فيها من أشخاص ومواقف ، سواء في فهمه وإدراكه، أم في مشاعره وسلوكه وتصرفاته ومظهره الخارجي ، ويضاف إلى ذلك القيم و الميول والرغبات والمواهب والأفكار والتصورات الشخصية[١]).

فالشخصية إذاً لا تقتصر على المظهر الخارجي للفرد ، ولا على الصفات النفسية الداخلية ، أو التصرفات والسلوكيات المتنوعة التي يقوم بها وإنما هي نظام متكامل من هذه الأمور مجتمعة مع بعضها ويؤثر بعضها في بعض مما يعطي طابعاً محدداً للكيان المعنوي للشخص.

هذا الطابع الذي يؤخذ عن الشخصية ، ويعرف عنها،وتشتهر به ؛ يصير هو وقود الأذهان عن هذه الشخصية،والذي يترتب عليه الحديث عنها مدحا أو قدحا، ويبدأ الخيال في التزيد علي حسب هواه!، وهذا صار أمرا بدهيا لذا ؛ فإن الشخصية إذا حظيت عند الناس واكتسبت محبتهم؛ رفعها الناس ونسبوا إليها من جلائل الأعمال ومحاسن الفعال ما لم تفعله ، وإذا كرهها الناس لبغي أو لظلم أو لأي شيء آخر تمنوا ما يسوؤها وما يضرها!، وإن لم يجدوا اخترعوه وألّفوه وابتدعوه وأشاعوه لغير حقيقة ومن غير واقع لمجرد التشفي ومحض التمني وقد صور ذلك الشافعي تصويرا دقيقا فقال:

المرء يحظى ثم يعلو ذكره ∴ حتى يزين بالذي لم يفعل

وترى الشقي إذا تكامل عيبه ∴ يشقى و ينحل كل ما لم يعمل[٢]

وباستقراء الموروث الشفهي والمكتوب لكل أمة نري أنَّ خيال العامة قد تدخل بصورة كبيرة في الموروث الشَّفهي التاريخي لدى الشُّعوب هذا الموروث

---

(١) فن تحليل الشخصيات والتعامل معها ،عبد الكريم الصالح ، ص: ٥ ، ١٤٢٧هـ (د.ط).
(٢) ديوان الإمام الشافعي ، ص:٢٣ ، ط.دار المنار (١٤١٠هـ ،١٩٩٠م).

الذي يحوي الكثير من القصص المُختلقة ، والأكاذيب الملفَّقة حول بعض الشخصيات التاريخيَّة المشهورة ؛ فيرفع أقوامًا ليسوا بأهلٍ للرفع ، ويضعُ آخرين من أهل الرِّفعة والشرف،وينسج الكثير من المبالغات حول هؤلاء وأولئك قدحًا أو مدحًا ، ولربَّما أراد المدح فآل إلى القدح، أو العكس.

وسوف أعرض في هذا البحث- بإذن الله تعالى – لمثلين من أولئك الذين تحرَّفت سيَرُهم في التَّاريخ الشَّعبي الشَّفوي، الذي يتلقَّاه الصغار عن الكبار، ويسمعه الجاهل والمتعلم من أفواه جهلة القُصَّاص والسُّمَّار، أو يقرؤونه في كتابات مُثقَّفيهم غير المتثبتين في الأخبار.

المبحث الأول: الشخصية المحبوبة :
(عنترة بن شداد)

المطلب الأول : من عنترة ؟

عنتر بن عمرو بن شداد العبسي ، أحد فرسان العرب وأغربتها وأجوادها وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة من أكثر شعراء الجاهلية بأساً وشدة ، وأكثر الذين ترجموا لشاعرنا جعلوا اسمه (عنترة) بإثبات التاء[١] ولم يخالف عن ذلك إلا سيبويه فيما نقله عنه صاحب اللسان[٢] وفيما نقله بعضهم عن المبرد[٣] وهو أحد قولي ابن قتيبة[٤] إذ جعلوا اسمه عنتر بحذف التاء.وقد تعددت لعنترة الكنى والألقاب فمن ألقابه عنترة الفلحاء[٥] ــ من الفلح ــ أي شق في شفته السفلى وعنترة الفوارس[٦] لفروسيته ومن كناه أبو المغلس[٧] لجرأته في الغلس أو لسواده الذي هو كالغلس وأبو عبلة[٨] ويكنى أيضا بأبي المعايش وأبي أوفى وأما اسم والده ففيه اختلاف وأقوال كثيرة لا مجال لذكرها كلها[٩] فمنهم من قال: شداد وقيل : معاوية و قيل غير ذلك. وأما أمه فهي حبشية واسمها زبيبة[١٠] وأما اسم جده أيضاً فيه اختلاف كثير فقد وصلت الأقوال فيه إلى ثلاثة عشر قولاً[١١]. فمنهم من قال : معاوية وقيل: قراد.وقيل: شداد.فإذاً هنالك اختلاف واضطراب في نسبه ،ويبقى قوله:(الكامل)

وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت ∴ ألفيت خيراً من معم ومخول[١٢]

---

(١)الشعر والشعراء ص١٤٩، البيان والتبيين: ١/ ٢١ ، المعاني الكبير: ١/ ٥٠٧، الأغاني: ١٤٢/٧، نهاية الأرب: ٣١٣ ، شرح القصائد العشر التبريزي:١٧٢، مجمع الأمثال:٢٤٤/٢.
(٢) لسان العرب، مادة (عنتر)
(٣) شرح القصائد العشر، التبريزي: ٢٠٤
(٤) المعاني الكبير:٢٨٦ ، ٣٣٦
(٥) المزهر: ٤٣٢/٢ ، مقاييس اللغة: ٤/ ١٦١ .
(٦) العقد الفريد: ٥/ ١٥٣
(٧) المزهر: ٢/ ٤٢٤
(٨) شرح ديوان الحماسة: ٢١٨/١.
(٩) الشعر والشعراء:١٤٩، البيان والتبيين:١ /٢٠ ، الأغاني: ٧/ ١٤٢ ، نهاية الأرب:٣١٣ ، مجمع الأمثال: ٢٤٤/٢ ، شرح ديوان الحماسة: ١٧٣، خزانة الأدب:٦٢/١
(١٠) الأغاني ٧/ ١٤٢ ، الشعر والشعراء ص١٤٩
(١١) المراجع السابقة ، وأكثر المراجع تهبط بالنسب من قيس إلى عبس
(١٢) الشعر والشعراء: ١٥١

خير اعتذار وأجمل اعتزاز فليس الأمر بالنسب ولكنه بالفعال الحميدة والأخلاق الكريمة.

واشتقاق اسم عنترة من ضرب من الذباب يقال له العنتر وإن كانت النون فيه زائدة فهو من العَتْرِ والعَتْرُ الذبح والعنترة أيضاً هو السلوك في الشدائد والشجاعة في الحرب. وإن كان الأقدمون لا يعرفون بأيهما كان يدعى: بعنتر أم بعنترة فقد اختلفوا أيضاً في كونه اسماً له أو لقباً.

وقد ورث السواد من أمه زبيبة، إذ كانت أمه حبشية وبسبب هذا السواد عده القدماء من أغربة العرب.

ومن درج من الرواة على تسمية عنترة باسم عنتر أحياناً، ربما استناداً إلى ما سمعوه من قوله:

يدعُونَ عنترُ والرّماحُ كأنّها ∴ أشطانُ بئرٍ في لبَانِ الأدهمِ

وقوله في موضع ثان:

ولقَد شفَى نفسِي وأبرَأ سُقمها ∴ قيل الفَوارس ويْك عنتر أقدمِ

وقد شرح الخطيب التبريزي البيت الأول بقوله: "ويروى عنتر- أي بالضم- فمن رواه بفتح الراء فإنه رخّم عنترة وترك ما قبل المحذوف على حاله مفتوحاً، ومن روى عنتر وضمّ الراء احتمل الوجهين: أحدهما أن يكون قد جعل ما بقي اسماً على حاله إلّا أنه قد صار طرفاً كحرف الأعراب، والثاني ما رواه المبرّد عن بعضهم أنه كان يسمى عنتراً،فعلى هذا الوجه لا يجوز إلا الضمّ،هكذا ذكره النحاس، ويجوز أن يكون عنتر على هذا الوجه منصوباً بيدعون. ويذكر شارح القاموس أنه " قد يكون اسمه عنتراً كما ذهب إليه سيبويه". على أن المتواتر في الكتب المعتمدة وما عليه الكثيرون هو أن اسمه "عنترة" لا "عنتر"والعنترة السلوك في الشدائد والشجاعة في الحرب، وهذا أقرب إلى مسمى فارس بني عبس.

هو: عنترة بن عمرو بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة وقيل عوف بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر.

ولد عنترة في الربع الأول من القرن السادس الميلادي ، وبالاستناد إلى أخباره، واشتراكه في حرب داحس والغبراء فقد حدّد ميلاده في سنة ٥٢٥م. يعزّز هذه الأرقام تواتر الأخبار المتعلّقة بمعاصرته لكل من عمرو بن معدي كرب والحطيئة وكلاهما أدرك الإسلام.

وكان لعنترة أخوة من أمه عبيد هم جرير وشيبوب. وكان هو عبداً أيضاً لأن العرب كانت لا تعترف ببني الإماء إلا إذا امتازوا على أكفائهم ببطولة أو شاعرية أو سوى ذلك. ذاق عنترة مرارة الحرمان وشظف العيش ومهانة الدار لأن أباه لم يستلحقه بنسبه، فقد كان أبوه هو سيده، يعاقبه أشد العقاب على ما يقترفه من هنات، وكانت سمية زوجة أبيه تدس له عند أبيه وتحوك له المكائد، ومن ذلك أنها حرشت عليه أباه مرة، وقالت له: "إن عنترة يراودني عن نفسي". فغضب أبوه غضباً شديداً وعصفت برأسه حميته، فضربه ضرباً مبرحاً بالعصا وأتبعها بالسيف، ولكن سمية أدركتها الرحمة في النهاية فارتمت عليه باكية تمنعه ضربات أبيه، فرقّ أبوه وكفّ عنه. فاعتبر عنترة بشعر يقول فيه:

أمِن سمية دمع العين تذريفُ ∴ لو أن ذا منك قبل اليوم معروف
كأنها يوم صدّت ما تكلمني ∴ ظبي بعسفان ساجي الطرف مطروف
تجلّلتني إذ أهوى العصا قِبلي ∴ كأنها صنم يُعتاد معكوف
المال مالكم والعبد عبدكم ∴ فهل عذابك عني اليوم مصروف
تنسى بلائي إذا ما غارة لقحت ∴ تخرمنها الطوالات السراعيف
يخرجن منها وقد بلّت رحائلها ∴ بالماء يركضها المُرد الغطاريف
قد أطعنُ الطعنة النجلاء عن عرضٍ ∴ تصفر كف أخيها وهو منزوف
لا شك للمرء أن الدهر ذو خلف ∴ فيه تفرّق ذو إلف ومألوف

حبّ عنترة ابنة عمه عبلة بنت مالك أعظم الحب وأشده، وكانت من أجمل نساء قومها وأبعدهم صيتاً في اكتمال العقل ونضرة الصبا، ويقال إنه كان من أقسى ما يعيق هذا الحب صلف أبيها مالك وأنفة أخيها عمرو.

تقدم عنترة إلى عمه مالك يخطب ابنته عبلة، ولكنه رفض أن يزوج ابنته من رجل أسود. ويقال :إنه طلب منه تعجيزاً له وسداً للسبل في وجهه ألف ناقة

من نوق النعمان المعروفة بالعصافير مهراً لابنته، ويقال: إن عنترة خرج في طلب عصافير النعمان حتى يظفر بعبلة، وإنه لقي في سبيلها أهوالاً جساماً، ووقع في الأسر، ثم تحقق حلمه في النهاية وعاد إلى قبيلته ومعه مهر عبلة ألفاً من عصافير الملك النعمان. ولكن عمه عاد يماطله ويكلفه من أمره شططاً، ثم فكر في أن يتخلص منه، فعرض ابنته على فرسان القبائل على أن يكون المهر رأس عنترة.

ثم تكون النهاية التي أغفلتها المصادر القديمة وتركت الباحثين عنها يختلفون حولها، فمنهم من يرى أن عنترة فاز بعبلة وتزوجها، ومنهم من يرى أنه لم يتزوجها، وإنما ظفر بها فارس آخر من فرسان العرب.

وقد سكتت المصادر العربية عن ذكر عبلة إلا في مجال تشبيب عنترة بها وحبه لها، فلم تنوّه عما إذا كان قد تزوج بها أم بقي حبه معلقاً. ذهب البعض إلى القول بأن عنترة لم يتزوج عبلة، بل تبتل في حبها، وأن أباها وأخاها منعاه زواجها، وأنها زوجت أحد أشراف قومها على رغم عنترة. وقد قاس أصحاب هذا الرأي قولهم هذا قياساً على عادة العرب من منعها بناتها أن يزففن إلى من يشبب بهن قبل الزواج. ويميل البعض إلى الرأي القائل أن عنترة تزوج عبلة لعوامل وأسباب، منها أنه قد استحلق بنسب أبيه فزالت عنه هجنة النسب وأصبح ابن عم لعبلة، ثم إنه كان من أشهر فرسان قبيلة بني عبس بل فرسان العرب، وقوته وفروسيته مما لا يغفله من حسابه من يريد زواج عبلة، إذ إنه سيتعرض لانتقام عنترة وثأره لكرامته[١].

المطلب الثاني: عقدة أورثت الشجاعة :

مشكلة السواد الذي اكتسبه عنترة من والدته الحبشية (زبيبة) شكّلت له عُقدة نفسية عميقة ؛ لأنها سبب معاناته الرئيس في الحياة ونبذه واستعباده من قبل أبيه وقبيلته ، ليصبح عبداً من عبيدها لا سيّداً من ساداتها ،وكثيرا ما كان

(١) ينظر :شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي ، قدم له مجيد طراد، ٧ :١٠ ،نشر: دار الكتاب العربي (الأولي) ١٤١٢هـ ،١٩٩٢م (بتصرف) ،وديوان عنتر ،ص: ٣ :٨ ، ط بنفقة خليل الخوري صاحب مكتبة الجامعة بيروت ١٨٩٣م (بتصرف)، شرح المعلقات العشر المذهبات، للخطيب التبريزي،تحقيق د. عمر فاروق الطباع ، بيروت: دار الأرقم ، د. ت، ص:١٨٥ :١٩١ .

يُعيّر بسواده وسواد والدته ،ويطالعنا ذلك في أكثر من موضع في ديوانه ،منها قوله[١]:

يعيبون لوني بالسّواد وإنّما ∴ فعالهُم بالخُبْث أسودُ من جلدي

وكذلك في قوله ردّاً على من يُعيّره بسواد أُمّه[٢]:

فإن تكن أمي غرابية ∴ من أبناء حام بها عبتني

فإنّي لطيفٌ ببيض الظُّبى ∴ وسُمْر العوالي ،إذا جئتني

جعل عنترة البديل لذلك السواد شجاعته التي اشتمل عليها بحدّ السيف القاطع وبالطعن بالرماح العوالي فأصبح أشجع الفرسان وأشدّهم، فكانت الفروسية هي الوسيلة التي يسعى بها إلى انتزاع حرّيته ونسبه ، ومع ذلك لم يشأ أبناء قبيلته تجاهل لعنة السواد التي أُبتُلي بها ، فظلّت تسمية (ابن السوداء) تطرق مسامعه حتى عندما يرجع مُنتصراً من المعركة ، فلازمه الإحساس بالمرارة حتى اصطبغت به شخصيته وأفكاره وأشعاره التي لم تفارقها نبرة الحزن والألم[٣] ، فأصبحت من سمات شعره البارزة حتى عانى ما عانى من ذلّ وتحقير من قبل أبناء القبيلة لكن ذلك لم يؤثر فيه إلاّ إيجاباً فأصبح من أشجع فرسان العرب وألصقهم بمكارم الأخلاق وأشعرهم ، وسعى دائماً إلى إثبات كيانه وتعويض ذلك النقص الذي سعى الآخرون إلى زرعه في داخله ، وتأكيد وجوده وبناء على ذلك نجد عنترة يرفض الذلّ والعبودية ، وأخذ يصدح بالحرية ، حتى طغت السمة الذاتية على أشعاره وإظهار محاسنه عسى أن تمحو أثر ذلك السواد الذي يراه الآخرون عيباً ، لذلك تميّز حديثه عن الذات " بنزعة إبائية وتجسيد للسمات الإنسانية التي لا تأبه بلون الإنسان أو تقيم اعتباراً للجوانب الضيَقة فيه[٤] ".فنراه

(١) الديوان:٢٥٤.
(٢) الديوان:١٥٠
(٣) يُنظر: الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، عبده بدوي ، وزارة الثقافة مصر، ١٩٧٣م:٢٢
(٤) القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي ، د. جليل رشيد ، مجلة آداب الرافدين ، ع٧ ، سنة ١٩٧٦م : ٥١٨

يفخر بأخلاقه السامية وصفاته النقيّة،التي تمنحه بياضاً معنوياً قد يفتقر إليه الآخرون، فيقول[١] :

تُعيّرُني العِدى بِسَوادِ جلدي ∴ وبيضُ خِصائِلي تَمحو السّوادا

تلك الخصال الخالدة التي عرف بها ، حتى بعد مجيء الإسلام كان المسلمون الأوائل يستشهدون بها لأنها قريبة من مبادئ الإسلام مع أنّه شاعر جاهلي لم يُدرك الإسلام[٢] حتى روي أنّ الرسول(ﷺ) تشوّق لرؤيته لكثرة ما تحدّث عنه المسلمون المعاصرين له في الجاهلية[٣] . وهذا دليل آخر على عدم إدراك عنترة للإسلام فلم يلتق بالرسول (ﷺ) ، بل وصفه له المسلمون الأوائل ، ولم تكن مشكلة عنترة فريدة من نوعها في عصره، فقد عكف الأشراف في الجاهلية على استعباد أبنائهم السود من الإماء ورفضوا عتقهم إلاّ أن يُقدّموا عملاً عظيماً يكون ثمناً لفكاكهم من أسر العبودية ، وكان شاعرنا أحدهم إذ كانت فروسيته ثمناً للتخلّص من تلك العبودية ومن ثمّ الاعتراف ببنوّته[٤]

المطلب الثالث: الشجاعة وخيال العامة[٥]:

"ثمة إجماع في المخيال العربي على عنترة البطل الملحمي الجاهلي الذي بالرغم من أنه لم يكن يدافع لا عن الأمة ولا عن الدين، بل عن قبيلته وحقه في التقدير، وطلب الاعتراف بالذات والجدارة والكينونة ...، فإنه مثّل في الوجدان الجمعي مثال الحرية والفروسية والبطولة والشهامة والكرامة، والنبل الإنساني،

---

(١) الديوان : ٢١٧

(٢) اعتقد بعض المستشرقين إدراك عنترة للإسلام لورود كثير من المصطلحات الإسلامية في أشعاره ، لكنَ أكّد المؤرخون على أنَه توفي عام(٦١٥م) أي قبل ظهور الإسلام بسبع سنوات ، لكن أخلاقه وعفّته كانت من باب الطهارة والترقع

(٣) الديوان :١٠

(٤) يُنظر: دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي : ٣٦٩ ــ ٣٧٠ .

(٥) ولم يتوقف خيال العامة عند الحكايا والقصص عن عنترة بل زاد الخيال فتدخل في الرسم الشعبي فرأينا فظهر عنترة في هذه الرسوم فارسًا أسود اللون يمتطي دائمًا ظهر جواده (الأبجر)،ويظهر بالزي الميداني، والشارب الطويل، مجهزًا بالنبال والرماح والخناجر، حاملاً بيده رمحه، ومنطلقًا نحو الهدف.ويظهر أحيانًا مقاتلاً يضرب بسيفه عدوه عبد زنجير، وأحيانًا وهو يصارع ملك الجان، أو يقطع برمحه رأس الثعبان (رمز الشر) إلى جانب هذه الرسوم يسجل الرسام ألقاب عنترة وأسماء مرافقيه عنترة أبوالفوارس، عبلة، شيبوب..إلخ ، وتُزين اللوحة بشيء من شعره ..، ينظر: التصوير الشعبي العربي ، د.أكرم قانصو، عالم المعرفة عدد:نوفمبر ١٩٩٥م.

فيما يتعدى اللون والجنس والأصل والفصل، والحسب والنسب. ويقارن البعض الآخر من المؤرخين بين (سيرة عنترة) عند العرب و(الإلياذة) عند الإغريق، لاسيما (سيرة أخيل) – التي يبدو أن لها أساسًا تاريخيًا كسيرة عنترة – وإن تحوّلت في الوعي والمخيال الإغريقي إلى أسطورة ميثولوجية"[١] ، وقد أثر خيال العامة تأثيرا مشاهدا في التزيد الكبير حول شجاعة عنترة وظهر ذلك في التراث الشفهي والحكايا المتداولة بين الناس والتي رفعت عنترة لدرجة الأسطورة وروت عنه من فعال الشجاعة ما لا يقبل عقلا وزاد الخيال فيها عاما بعد عام حتي ظهرت دار الخيالة (السينما) وظهرت (أفلام[٢]) كثيرة تصور شخصية عنترة فيما يشبه الأسطورة وتجعل منه البطل الخارق للعادة الذين يهدم البنيان ويحطم الجدران ويمزق سلاسل الحديد ويكسر الأغلال ويحمل جذوع النخل وحده والتي لا يستطيع حملها العصبة أولوا القوة من الرجال ويهجم وحده علي الكتيبة فيغلبها والفرقة من الجيش فيهزمها ويدخل علي القبيلة منفردا مهما كان عددها وقوتها فيفرقها ويشتت شملها ويفعل فيها ما يريد وهذه الصورة مبالغ فيه بدرجة تنافي الواقع وما هي إلا نتاج خيال شطح وتوهم تضخم للآتي:-

أولا : عنترة وإن كانت شجاعته لا تنكر إلا أنها مقبولة من الناحية البشرية وليست من الخوارق التي يجنح إليها الخيال وعنترة كما يعترف هو تأتي شجاعته من العقل والفطنة وحسن التقدير أكثر منها من البأس والقوة وشدة البدن فقد" قيل لعنترة: أنت أشجع العرب وأشدها ؟ قال لا. قيل:فبماذا شاع لك هذا في الناس؟ قال: كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزماً، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزماً، ولا أدخل إلا موضعاً أرى لي منه مخرجاً، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله[٣]" فعنترة يعترف صراحة

---

(١) مجلة العربي العدد:٥٩٠ يناير ٢٠٠٨م ، المِيثُولوجيا:علم الأساطير والخرافات المتّصلة بالآلهة وأنصاف الآلهة عند شعب من الشعوب، والمِيثُولُوجِيَّةُ: :مَجْمُوعُ الأَسَاطِير الَّتِي نَسَجَتْهَا الشُّعُوبُ قَدِيماً عَنْ تَصَوُّرَاتِهَا لِلْآلِهَةِ وَأَبْطَالِهَا.

(٢) من أشهرها (فيلم) عنترة بن شداد وهو فيلم مصري تاريخي كوميدي عرض في ديسمبر ١٩٦١، من إخراج نيازي مصطفى المأخوذ عن قصة محمد فريد أبو حديد وكتب سيناريو الفيلم نيازي مصطفى، عبد العزيز سلام، وأعد الحوار محمود بيرم التونسي

(٣) ينظر الأغاني ،لأبي فرج الأصفهاني ،٧/ ١٤١

أن شجاعته آتية من العقل والذكاء وحسن التصرف في الأحداث وجمال التقدير في المواقف والمعرفة الدقيقة للناس ونفسيات من يقاتلهم وهذا كله ذكاء محض وعمل عقلي صرف، وليس فقط من القوة والبسالة وشدة البدن،" وهذه الآراء تؤكد اقتران الحيلة والحنكة في فن الحرب عند عنترة وأقرانه في عصر السيف والرمح والفروسية[١] ".

ويكفي هذا دليلا علي أن شجاعة عنترة شجاعة بشرية طبيعية وليست من الخوارق ولا من المعجزات والتي يوجد مثلها بل ويزيد عليها أحيانا في كل عصر ومصر .

ثانيا: يوجد مثل شجاعة عنترة وزيادة في عصره ولكن الحظ وقف بجوار عنترة فأحبته العامة وأعملت خيالها فنسجت له من القصص والحوادث ما لم يعمله وهذا من رزقه الزائد في الصيت وجده ولعل خيال العامة هو العامل الأساس في ذلك مع أن هناك من غلب عنترة وبزه ولكنه لم يحظ بما حظي به عنترة ولم يبلغ عشر معشاره في الذكر علي ألسنة الناس وهو رجل من بني عامر بن صعصعة يقول المرزباني في تعريفه: " عويمر بن أبي عدي بن ربيعة بن عامر بن عقيل فارس شاعر هرب منه عنترة بن شداد العبسي فأخذ ماله وقال:

تركت بني زبيبة غير فخر ∴ يجبوا الماء ليس لهم بعير
أجير الناس قد علمت معد ∴ ومالي غير سيفي من مجير

وإياه عنى المتنكب السلمي بقوله:

أعنتر ما صبرت لنا ولكن ∴ جزعت وما المحافظ كالجزوع [٢]

---

(١) مجلة العربي العدد:٥٩٠ يناير ٢٠٠٨م

(٢) ينظر: معجم الشعراء، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت: ٣٨٤ هـ) تصحيح وتعليق: الدكتور ف. كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت (الثانية)، ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢م ، لكن ابن ناصر الدمشقي يذكر كلام المرزباني بفصه ونصه ولكنه يزيد بيتا آخر للمتنكب السلمي بعد البيت المذكور وهو:

غداة تركت لابن أبي عدي وللبجلي مقنعة الضروع

ينظر: توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، شمس الدين محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي ، الشهير

فانحياز خيال العامة لعنترة ، وانحيازه عن عويمر بن أبي عدي الذي غلبه وسلبه ماله ، هو الذي شهر عنترة وأعلي ذكره ، ونسي عويمر وأخمل ذكره ، مع أن البأس والقوة في عويمر ، ودليلها أن عنترة هرب وترك ماله نجاة بحياته وفرارا بعمره !!.

ثالثا : الفروسية ضرورة عربية في عصر عنترة فظروف الحياة الجاهلية بما فيها من قساوة وخشونة من جهة ، ونزاعات قبلية من جهة أخرى فرضت على رجالها التحلّي بصفات معينة تتناسب وتلك الظروف ليتسنّى لهم التكيّف معها، ولعل أبرز تلك الصفات هي الجراءة والشجاعة والكرم والإجارة التي تندرج ضمن إطار الفروسية التي تعدّ ضرورة لا بدّ منها في مجتمع قبلي يقوم على المنافسة والصراع من أجل ضمان الحياة واستمرارها مدّة أطول في تلك الظروف القاسية ، فأصبحت الفروسية صفة غالبة على معظم أبناء الصحراء العربية إن لم يكن كلّهم ، فقلّما نجد عربياً في البادية لم يكن فارساً ، حتى جعلها عنترة فرضاً على كلّ عربي وإلاّ فلن يستحق الذكر الحميد ولا حتى نعي الناعيات بعد موته، فيقول[١] :

إذا قنعَ الفتى بدَمِيمِ عَيْشٍ ∴ وكان وراءَ سجْفٍ كالبناتِ
ولم يَهْجِمْ على أُسْدِ المنايا ∴ ولم يَطْعنْ صُدورَ الصافِناتِ
ولم يقْرِ الضُّيوفَ إذا أَتَوْهُ ∴ ولم يُروِ السُّيوفَ من الكُماةِ
فقُلْ للناعياتِ إذا نَعَتْهُ ∴ ألا فاقْصِرْنَ نَدْبَ النادباتِ
ولا تَنْدُبْنَ إلاّ لَيْثَ غابٍ ∴ شُجاعاً في الحروبِ الثَّائراتِ

فالفروسية " مظهر من مظاهر الحياة نشأ نتيجة عوامل اجتماعية وأخلاقية وحربية وتطوّر وفق أساليب حيوية شاملة وقد ساعدت في تطوّره فطرة عربية سليمة وجدت في المُثُل السامية قيمها الحقيقية وهدفها الذي تسعى إليه[٢]".

بابن ناصر الدين (ت: ٨٤٢هـ)، تح: محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، (الأولى) ١٩٩٣م .

(١) ديوان عنترة ومعلّقته ، تح : خليل شرف الدين ، بيروت،١٩٧٧م : ٢٢٠ .

(٢) الفروسية في العصر الجاهلي ، د. نوري حمّودي القيسي ، بيروت ــ لبنان ، ط١، ٢٠٠٤م : ٢١ــ٢٢

ويساعد في ثبات ذلك ما يتّسم به العربي من فطرة سليمة، وإلا لما كان العرب يفخرون بفرسانهم و يلوذون بحماهم ، فقد اعتزّ العرب بفرسانهم وافتخروا بهم أحياءً وبجَّلوهم و صانوا جميلهم وحفظوا ذكراهم أمواتاً[١]. ولم يكن الفارس في نظر الآخرين إنساناً اعتياديا، بل" كان البطل في القبيلة وفي عهود الحياة الأولى للأمم يعدُّ شخصاً مقدّساً، بل كانوا يظنونه أحياناً من سلالة الآلهة[٢] ".ولم تختصّ بالفروسية فئة معيّنة في المجتمع فقد كان معظم العرب فرسانا باختلاف طبقاتهم الاجتماعية، فالفروسية هي التي تمنح معتنقيها المنزلة الرفيعة والمكانة السامية في المجتمع[٣].

المطلب الرابع: ملحمة عنترة وسيرته :

لا يخفى على القارئ أي قارئ – قَلَّت معارفه التاريخية أو كثرت – اسمُ عنترة بن شداد الفارسِ العربي الجاهلي، وبعضًا من سيرته التي سارت بها الرُّكبان، ولَهج بها في الحلِّ والترحال العربُ والعجم، المتأخرون منهم والأوائل، وهي من تلك السير التي تصلُحُ كأنموذج على ما يلحقُ سير الأبطال من مُبالغات تمجُّها كثير من العقول، حتَّى جَعَلت من شخصيته أسطورة أقرب للخيال منها للواقع.

ولعنترة سيرة تكرَّرت طِباعتُها ، فيها كثيرٌ من الأشعار والأحوال، ولا يعلم واضعها على الحقيقة، وهي قصَّة خياليَّة، وتسمَّى بالسيرة الحجازيَّة، وله سيرة أخرى تُسمَّى بالسيرة الشاميَّة .

وبعض الدارسين[٤] يرون أنّ كاتب سيرة عنترة فرد واحد. وإن جاز القول بأنّ المادة العلمية والتاريخيّة في هذه السيرة يرجع الفضل فيها إلى الأصمعي الذي ولد عام١٢٣هـ وتوفي عام٢١٠هـ. أما الصورة الروائية للسيرة فإنّها ليست للأصمعي وإنّما هي لشخص متأخر عنه زمنياً،اطّلع على تراث الأصمعي واستغله في صياغة روايته القصصيّة ويبدو أنه يُوسف بن إسماعيل

(١) يُنظر: ديوان عامر بن الطفيل العامري،شرح أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ،تح د.محمود عبد الله الجادر وآخر ، دار الشؤون الثقافية ــ بغداد ، ط١، ٢٠٠١م :٤٥.
(٢) البطولة في الشعر العربي، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ــ القاهرة، ط٢، ١٩٧٠م :٩.
(٣) يُنظر: البطل في التراث، د. نوري حمَودي القيسي ، العراق ــ بغداد،ط١، ١٩٨٨م : ٦
(٤) مثل فاروق خورشيد ومحمود دهني

المصري. والدليل على أنّ كاتب سيرة عنترة فرد واحد يكمن أولاً في البناء القصصي الذي تتسلسل فيه الأحداث تسلسلاً سليماً من أول فصول السيرة حتى الفصل الأخير منها. وليس أدل على ذلك من تلك الإحالات التي يلجأ إليها الكاتب. ففي الفصل الأول مثلاً يقدّم لنا زبيبة-أم عنترة- ويبرر عدم انقيادها لبقية الفرسان الذين أسروها مع شداد بقوله: وقد أنكرت فهم تلك الأحوال لأنّها من نسل قوم كرام. وبعد ذلك ينتقل المؤلف في كتابة السيرة حتى يصل إلى الفصل الرابع والثلاثين بالمجلد الخامس حيث ينتقل بفارسه إلى بلاد الأحباش ليقوم بسلسلة من المغامرات. وهنا يذكر لنا المؤلف نسب زبيبة وأصلها وسبب غربتها وهي أنّها بنت النجاشي ملك الحبشان ويرجع نسبها إلى حام بن نوح عليه السلام، وقد غدر بزبيبة الزمان، وحكم عليها القدر أن تقع في يد العربان، وأرسلها إلى بني عبس وعدنان فأخذها شداد وأتت منه بعنتر(١). ومع الاقتناع بوحدة مؤلف السيرة فقد أقحم العامة بيد النسّاخ خيالاتهم ورغباتهم للتزيد والحصول على الرضى . يثبت ذلك اختلاف نصوص السيرة ما بين حجازية وشامية وعراقية معنى هذا أنّ نظرية التراكم الملحمي يتفاوت انطباقها من سيرة إلى أخرى بحيث يمكن تطبيقها تطبيقا واسعاً على سيرة مثل الزير سالم، بينما قد لا يتاح تطبيقها إلاّ في أضيق الحدود على سيرة مثل سيرة عنترة. وإذا عرفت الليالي(بالجواري) فإنّ الملاحم أو السير الشعبية العربية تعرف بالمرأة الحرّة ، وإذا كانت امرأة الحكايات الشعبية تتصف بالحماقة .. فإنّها بالتأكيد غير ذلك أيضا في الملاحم الشعبية العربية.إنّها جادة مسئولة وإيجابية، وهذا من مسلمات كلّ عمل أدبي يتغنى بالبطولات القومية للشعب العربي. ويتفق الدارسون المحدثون على أنّ سيرة عنترة بن شداد هي إحدى ملاحم الحرية النادرة في الأدب الملحمي العالمي، وأن محاور الصراع فيها تدور حول تحرير الذات من ذل العبودية والرق وتحطيم ما اصطلح عليه المجتمع الجاهلي من أعراف وتقاليد طبقية وعنصرية قسمت الناس إلى طبقات على أساس غير منصف من لون وجنس وعنصر بمعنى أنّها ثورة على معنى التمييز العنصري الذي كان سائداً في الجاهلية قبل أن يسود

(١) أبوزيد الهلالي، محمد فهمي عبد اللطيف، ص: ٩٩-١٠٠ ، سلسلة اقرأ ، دار المعارف ، القاهرة (١٩٤٦م) .

في عصرنا الحديث فكانت عبلة السبب في تحرير عنترة العبد الأسود من أسوار عبوديته، وهي ابنة عمه ولع بها، ولهج بذكرها في شعره. وحالت الحواجز الطبقية والقيود الاجتماعية أمام هذه العاطفة، ومنع الزواج منها، فاندفع ذلك الفتى الطامح يتفوّق على الفرسان، ويستكمل مقومات(المثال) الذي تنشده الجماعة في الفارس الكامل كي يفوز بعبلة.. ويصدم عنترة من أجل حبيبته بالداخل والخارج، ويمكن القول إنّ عبلة ظلت طول الملحمة الحافز النفسي على تحقيق الوجود، والظفر بالحريّة والتفوّق على الأقران ,فارساً في الميدان ولساناً في ديوان الشعر العربي، وهي قد فرضت عليه المبارزة في الشعر كما بارز بالسيف (...ما بالك تطيل فكرك وتتحيّر في أمرك، أتريد أن ترجع عما عزمت عليه..إنني منذ اليوم حرامٌ عليك..حتى تعلّق لك قصيدة على البيت الحرام.) ولا تكتف عبلة بأن تكون لعنترة معلّقة واحدة ... بل معلّقتان ليكون شاعر الشعراء كما هو فارس الفرسان. وهكذا نرى أنّ عبلة كانت سببا لفصاحته وبسالته كما يقول الراوي على لسان إحدى الشخصيات[١]. وهي التي كانت سببا لفصاحته ومقاومته الأبطال، وشجاعته وتجرئة لسانه، لأنّه كلّما ذكرها انطلق الشعر على لسانه وطلب لنفسه المنزلة العالية، وقوي جنانه، وصار يبعد عن الحي، ويغير على القبائل، من أجلها يقبل عنترة التحدي الكبير ويعترف بذلك " فما حملني على هذا السبب إلاّ الهوى"[٢]. وتفي عبلة الحبيبة بدورها، دون أن تأبه بتحديات قومها وتعييراتهم لها حيث راحوا يرددون متهكمين بالأمس كان عنترة راعي جمالها، واليوم صار زوجها...[٣]. وهذا أعجب من العجب، بالأمس كان راعياً، واليوم يركب فرساً..والحق أنّها لاقت في سبيل هذا الوفاء الكثير والكثير، تعذيباً ونفياً وتشريداً وامتهاناً لأنوثتها وكرامتها، دون أن تهن أو تستسلم برهة "والله لو قطّعني أبي إرباً إرباً ما طاوعته على ما يريد من هذا النسب"[٤]. وهي التي من أجله تهدد بالانتحار عندما يضيق عليها الخناق.."وحق من أنار الشمس بالإشراق

(١) سيرة عنترة بن شداد :١/ ١١٠ .
(٢) سيرة عنترة بن شداد :١/ ١١٠ .
(٣) سيرة عنترة بن شداد :١/ ١٧٨.
(٤) سيرة عنترة بن شداد :١/ ٥٠.

إن زفوني على فحل وكان لا يقل فروسية عن عنترة فضلاً عن مكانته لأقتلن روحي ولأسكن ضريحي" وهي التي تسعى لإنقاذه من كلّ ما حاكه أبوها وأخوها بالاشتراك مع بني زياد أو أحد خطّابها الذين لا حصر لهم،ضد ابن عمها الفائز بقلبها، وهي التي تقف إلى جواره في المعارك الحاسمة مع أشد لحظات القتال ضراوة، بشخصها أو بطيفها فتكون حافزه الأكبر، منها يستمد صموده ومنها يستمد ثقته بالنصر، ولا غريب أن نراه يهتف بهذه الصورة الشعرية الملحمية الرائعة، من بين قعقعة السلاح، وسقوط الأبطال:

ولقد ذكرتكِ والرماح نواهلٌ مني ∴ وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لأنها ∴ لمعت كبارق ثغركِ المتبسم

وبهذا التصوّر الإيجابي، رسم القاص الشعبي صورة عبلة الحبيبة والزوجة لعنترة فكانت له (غذاء) مادياً ونفسياً ساعده على تحقيق ذاته،وتحرير نفسه، حتى بات مقترناً بها ومقترنة به، وليس أدل على ذلك الاقتراب ، من قيام تقاليد الزواج في بعض البيئات البدوية حتى اليوم، بتمثيل فروسي لعنترة أو عبلة حتى في بعض إمارات الخليج العربي وبعض بوادي سورية ولبنان والأردن وفلسطين.

وسيرة عنترة وملحمته تم ترجمتها إلى اللغة الروسية ثم توالت ترجمتها باللغات الأخرى لدرجه أنها أصبحت تنافس ألف ليله وليله .. وكان لامارتين الشاعر الفرنسي معجبًا بميتة عنترة الذي ما إن أصيب بالسهم المسموم وأحسّ أنه ميت لا محالة، حتى اتخذ خطة المناضل – حتى بعد مماته – فظل ممتطيًا صهوة جواده ، مرتكزًا على رمحه السمهري، وأمر الجيش بأن يتراجع القهقرى وينجو من بأس الأعداء، وظل في وقفته تلك حاميًا ظهر الجيش والعدو يبصر الجيش الهارب، ولكنه لا يستطيع اللحاق به لاستبسال قائده البطل في الذود عنه ووقوفه دونه، حتى نجا الجيش وأسلم عنترة الروح، باقيًا في مكانه، متكئًا على الرمح فوق جواده الأبجر. وما تزال أهم القصص الشرقية الأصيلة التي قامت عليها قصص المسيحيين الرومانسية في العصور الوسطى. منع طولها من ترجمتها كاملة إلى الإنجليزية، لكن السيد تريك هاملتون نشر مختارات كافية لأحداثها الرئيسة تعود إلى العام:١٨١٩م ، وذكر في استهلاله لها " الآن ولأول

مرة تقدم جزئياً إلى الجمهور الأوروبي . ثم قدمها هاملتون كاملة بشكل نثري، نثر على الطريقة اللاتينية التقليدية،الشائع في إنجلترا آنذاك. وقال كلوستون عن عنترة، في كتاب من تحريره وتقديمه عن الشعر العربي: ولد عنترة بن شداد، الشاعر والمحارب المعروف، من قبيلة بني عبس في بداية القرن السادس. كانت أمه جارية أثيوبية أسرت في غزوة، فلم يعترف به والده لسنوات طوال حتى أثبت بشجاعته أنه يستحق هذا الشرف.

يقول فون هامر: قد يعتبر العمل كله رواية أمينة للمبادئ القبلية العربية، خاصة قبيلة بني عبس، التي ينتمي إليها عنترة في عهد نيشوفان، ملك بلاد فارس .

ويلاحظ أن المؤرخ فيليب حتي[١] في حديثه عن حرب البسوس، وهي أقدم الحروب وأشهرها، أنه قد شبه عنترة – شاعرًا ومحاربًا – بأخيل، كرمز لعصر البطولة العربية.

(١) ينظر: مجلة العربي العدد: ٥٩٠ يناير ٢٠٠٨م ، تاريخ العرب ، فيليب حتي

المبحث الثاني :الشخصية المكروهة :

(الحجاج بن يوسف الثقفي)

المطلب الأول: بين الميلاد والوفاة(١) :

في الطائف كان مولد الحجاج بن يوسف الثقفي في سنة(٤١ هـ=٦٦١م) ، ونشأ في محضن أسرة من ثقيف وتوفي الحجاج بمدينة واسط في (٢١ من رمضان ٩٥هـ = ٩ من يونيو714 م)

وبين الميلاد والوفاة أحداث جسام وكلام كثير من المؤرخين يميل جله إلي اتهامه بالظلم والطغيان وظل هذا متواترا إلي عصرنا الحديث الذي وضعت فيه دراسات تاريخية عنه ، وبعضها كان أطروحات علمية حاولت إنصاف الحجاج وتقديم صورته الحقيقية التي طمس معالمها وملامحها ركام الروايات التاريخية الكثيرة.. وإن كان هناك مؤرخون حالوا ضبط زوايا الصورة التي ترسم عنه ويقف ابن كثير في مقدمة المؤرخين القدماء الذين حاولوا إنصاف الحجاج؛ فيقول : "إن أعظم ما نقِم على الحجاج وصح من أفعاله سفك الدماء، وكفى به عقوبة عند الله، وقد كان حريصاً على الجهاد وفتح البلاد، وكانت فيه سماحة إعطاء المال لأهل القرآن؛ فكان يعطي على القرآن كثيرا، ولما مات لم يترك فيما قيل إلا ٣٠٠ درهم".وقال أيضاً فيه" :وكانت فيه شهامة عظيمة وفي سيفه رهق، وكان يغضب غضب الملوك، وكان فيما يزعم يتشبه بزياد بن أبيه،وكان زياد يتشبه بعمر بن الخطاب فيما يزعم أيضاً ولا سواء ولا قريب، وقال: وبالجملة فقد كان الحجاج نقمة على أهل العراق بما سلف من الذنوب والخروج على الأئمة وخذلانهم لهم وعصيانهم ومخالفتهم، والاقتيات عليهم، وقال ..:وكان جباراً عنيداً مقداماً على سفك الدماء بأدنى شبهة .وقد روِي عنه ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر، فإن كان قد تاب منها وأقلع عنها،وإلا فهو باقٍ في عهدتها، ولكن يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه، فإن الشيعة كان يبغضونه جداً لوجوه وربما حرفوا عليه بعض الكلم، وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشناعات وقد روينا عنه أنه كان

---

(١) وينظر بالإضافة لما يأتي من مراجع في ترجمة الحجاج كتاب: البداية والنهاية ،الجزء التاسع، ص:١٣٢:١٢١. كما توجد رسالة دكتوراة بعنوان (الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه) للباحث:محمود زيادة وقد طبعت بدار السلام .

يتدين بترك المسكر، وكان يكثر تلاوة القرآن ويتجنب المحارم، ولم يشتهر عنه شيء من التلطخ بالفروج، وإن كان متسرعاً في سفك الدماء فالله تعالى أعلم بالصواب وحقائق الأمور وسرائرها وخفيات الصدور وضمائرها[١]"

وكان إسرافه في الدماء أمرا واضحا لا ينكر.. وقد أُحصِي من قتله الحجّاج بن يوسف "فوُجِد مائةً وعشرين ألفاً، ومات وفي حبسه خمسون ألف رجل ، وثلاثون ألف امرأة، (...) وكان يحبس النّساء والرّجال في موضع واحد، ولم يكن للحبس ستر يستر النّاس من الشّمس في الصّيف ولا من المطر والبرد في الشّتاء[٢]"، مع العلم أنّ جميع هؤلاء القتلى والمساجين "لم يَجِب على أحد منهم قطع ولا قتل[٣]".

وهذا الذي دفع العلماء إلي وصفه بأنه عذاب بما تحمل هذه الكلمة من معان كما قال عنه الحسن البصري[٤] : إن الحجاج عذاب الله ، فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم ،ولكن عليكم بالاستكانة والتضرع ، فإنه تعالى يقول:" ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون[٥]"، وقد كرهه الناس لسيرته المنتشرة والتي لا تخلوا من المبالغات غير المعقولة ..... وقد وصل من بغض الناس له أن تكلموا في عقيدته ودينه وهو أخطر ما يهاجم به المرء قال الإمام الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء:"تسبُّه ولا نحبه ، بل نبغضه في الله فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان . وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه ، وأمره إلى الله ، وله توحيد في الجملة ، ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء(٦)" وهو تابعي ، ولم يتول الخلافة فلم يكن يوما خليفة أما مسألة كفره أم لا فالحق أنه يُتوقف فيه ولا يجوز لرجل يخاف علي دينه أن يخوض في مثل هذا القول إلا إذا جاهر الرجل بالكفر واستتيب فلم يفعل وحكم عليه بذلك قاض وإلا فإن الحجاج قد كتب وصيته

---

(١) البداية والنهاية :١٢ /٥٣٦
(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي ،أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (٣٤٦هـ،٩٥٧م) ،١٨٧/٣، تح: عبد الأمير مهنا، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت الأولي (١٤١١هـ ،١٩٩١)
(٣) المستطرف في كل فن مستظرف، الأبشيهي :٨٣/١
(٤) الطبقات لابن سعد (١٦٤/٧) بإسناد صحيح
(٥) المؤمنون :٧٦
(٦) سير أعلام النبلاء: ٤ /٣٤٣

ليبرئ فيها نفسه وذمته تجاه خالقه وخليفته المسئول أمامه في الدنيا حتى آخر لحظة من حياته ، فكتب يقول:" بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الحجاج بن يوسف : أوصى بأنه يشهد أن لا إليه إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك ،عليها يحيا وعليها يموت وعليها يبعث..الخ[١].

ويروى أنه قيل له قبل وفاته : ألا تتوب ؟ فقال : إن كنت مسيئاً فليست هذه ساعة التوبة ، وإن كنت محسناً فليست ساعة الفزع[٢]. و قد ورد أيضاً أنه دعا فقال : اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل[٣].

وإكمالا لهذه السيرة نقول احتل الحجاج بن يوسف الثقفي مكانة واضحة بين قادة الجيوش في دولة بني أمية القادة في دولة الإسلام، ويندر أن تقرأ كتابًا في التاريخ أو الأدب ليس فيه ذكر للحجاج الذي خرج من سواد الناس إلى الصدارة بين أهل عصره وقادة بلده بملكاته الفردية ومواهبه الذاتية في القيادة والإدارة.

وعلى قدر شهرة الحجاج كانت شهرة ما نُسب إليه من مظالم ؛ حتى عده كثير من المؤرخين صورة مجسمة للظلم، ومثالا بالغا للطغيان،وأصبح ذكر اسمه يستدعي في الحال معاني الظلم والاستبداد، والتجبر والقهر للناس وضاعت أعمال الحجاج التي تستحق المدح مثل إعادة بناء الكعبة، وبناء مسجد ابن سلمة بالمدينة المنورة، وحفر الآبار، وتشيد السدود أثناء ولايته للحجاز، ،وأثناء ولايته للعراق قام بإصلاحات شملت النواحي الاجتماعية والصحية والإدارية وغيرها، فأمر بعدم النوح على الموتى في البيوت، وبقتل الكلاب الضالة، ومنع التبول أو التغوط في الأماكن العامة، ومنع بيع الخمور، وأمر بإهراق ما يوجد منها، وعندما قدم إلى العراق لم يكن لأنهاره جسور فأمر ببنائها، وأنشأ عدة صهاريج بالقرب من البصرة لتخزين مياه الأمطار وتجميعها لتوفير مياه الشرب لأهل المواسم والقوافل، وكان يأمر بحفر الآبار في المناطق المقطوعة لتوفير مياه الشرب للمسافرين ومن أعماله الكبيرة بناء مدينة واسط بين الكوفة والبصرة، واختار لها

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق: ٦٨/٤
(٢) محاضرات الأدباء: ٤٩٥/٤
(٣) تاريخ دمشق (٨٢/٤) والبداية والنهاية (١٣٨/٩)

مكانا مناسبا، وشرع في بنائها سنة (٨٣هـ = ٧٠٢م)، واستغرق بناؤها ثلاث سنوات، واتخذها مقرا لحكمه ، وكذلك فتح العديد من النواحي والممالك والمدن الحصينة، مثل: بلخ، وبيكند، وبخارى، وشومان، وكش، والطالقان، وخوارزم، وكاشان، وفرغانه، والشاس، وكاشغر الواقعة على حدود الصين المتاخمة لإقليم ما وراء النهر وانتشر الإسلام في هذه المناطق وأصبح كثير من مدنها مراكز هامة للحضارة الإسلامية مثل بخارى وسمرقند عن طريق اختيار للقائد قتيبة بن مسلم الباهلي ، وفتح مدن وادي السند عن طريق اختياره لابن عمه محمد بن القاسم الثقفي، ومن أجلِّ الأعمال التي تنسب إلى الحجاج اهتمامه بنقط حروف المصحف وإعجامه بوضع علامات الإعراب على كلماته، وذلك بعد أن انتشر التصحيف؛ فقام "نصر بن عاصم" بهذه المهمة العظيمة، ونُسب إليه تجزئة القرآن، ووضع إشارات تدل على نصف القرآن وثلثه وربعه وخمسه، ورغّب في أن يعتمد الناس على قراءة واحدة، وأخذ الناس بقراءة عثمان بن عفان، وترك غيرها من القراءات، وكتب مصاحف عديدة موحدة وبعث بها إلى الأمصار....وغيرها من الأعمال الحسنة ، لكن ضاعت هذه الحسنات بين ركام الروايات التي تروي مفاسده وتعطشه للدماء، وإسرافه في انتهاكها، وأضافت بعض الأدبيات التاريخية إلى حياته ما لم يحدث حتى صار شخصية أسطورية بعيدة – أحيانا– كل البعد عن الحقيقة والواقع، وإذا كان الجانب المظلم قد طغى على صورة الحجاج، فملأ أذهان الناس واشبع خيالهم فنسبوا إليه ما لم يحدث من باب التشفي وإذهاب غيظ القلوب وشفاء الصدور فيه فسوف نوضح بعض ذلك في هذا البحث ... ونختم تعريفه بقول الحسن رحمه الله حينما سمع أحد جلاسه يسب الحجاج بعد وفاته ، فأقبل مغضباً و قال : يا ابن أخي فقد مضى الحجاج إلى ربه ، وإنك حين تقدم على الله ستجد إن أحقر ذنبٍ ارتكبته في الدنيا أشد على نفسك من أعظم ذنبٍ اجترحه الحجاج ، و لكل منكما يومئذٍ شأن يغنيه ، واعلم يا ابن أخي أن الله عز وجل سوف يقتص من الحجاج لمن ظلمهم ، كما سيقتص للحجاج ممن ظلموه فلا تشغلن نفسك بعد اليوم بسب أحد[١].

(١) ذكره أبو نعيم في الحلية (٢/٢٧١)

المطلب الثاني: خيال العامة وقصص الحجاج:

وقد كره الناس الحجاج كثيرا لما توات عنه من أخبار فيها ظلم وإجحاف وتجرؤ علي كل شيء حتي علي الأكابر من الناس من لهم في القلوب مكانة ومنزلة وتقدير وتوقير كالصحابة وصالحي التابعين فاخترع خيال العامة قصصا تشفي الصدور في الحجاج وتذهب غيظ القلوب ، وجعلوا أبطالها من ضعاف الناس فهم إما شاب في مقتبل العمر وفتاته الصغيرة وإما امرأة وإما طفل صغير !! وهذا من قمة الذلة والتصغير وتحقير شأن الحجاج ؛ حيث يغلبه الضعاف وليس الأبطال ولا الصناديد الذين يتوقع من أمثالهم الهزيمة وتقبل في عقول الناس وعاداتهم ، لكنه الغل الذي يملأ القلوب علي هذا الرجل وتمني إذلاله بما لا يتوقع ولا يخطر علي بال جعل خيال العامة يخترع قصصا ويأتي بأبطال علي غير المتوقع ليتحقق الإذلال الكامل لهذا الرجل والتشفي فيه في قوته وعقله وفكره وخياله .

وقد تنوعت صنوف إذلاله التي اخترعها له العامة منها: من ناحية الحيل والمكائد وسياسة تدبير الأمور في قصة الشاب وفتاته، من الناحية الاجتماعية في منزله وعشرته وأنه مكروه ممن عاشره واقترب منه واقترن به وذلك في قصة المرأة ،ومن ناحية علمه وناحية اللغة والبيان والتي اشتهر بها الحجاج والمعلومات الدينية والثقافية وفن المحاورة والمحاجة وذلك في قصة الغلام .

ولنأخذ الأمثلة علي ذلك وقد اكتفيت بثلاث قصص في النواحي التي ذكرتها، وإن كانت القصص التي اخترعت عن الحجاج كثيرة جدا وتحتاج إلي مؤلف مفرد يجمع شتاتها ثم يبين وجوه اختراعها وكنت منتويا أن أفرد البحث للحجاج وهو أصل الفكرة في هذا البحث لكني رأيت أن آتي بالصورة المقابلة لأعزز الفكرة التي يقوم عليها البحث ولنترك جمع كل قصص الحجاج لبحث آخر _إن يسر الله تعالي_ وهذه القصص هي:

(القصة الأولي: الحجاج والشاب والفتاة)

من القصص التي اخترعها خيال العامة ضد الحجاج قصة (نعم ونعمة) وقد ساهم في شهرة القصة أنها وردت في كتاب (ألف ليلة وليلة) ، ولا شك أن (ألف

ليلة وليلة) أكثر المؤلفات رواجا، وأبلغها أثراً في نفوس الناس؛ لأن حكمتها ما برحت في حكمة العامة وبعض الخاصة المثقفين ، ولأن أخبارها ما زالت في أخبارهم ، وأسماء أبطالها صارت أسماء أشخاص في عائلاتهم ، وبعض قوالب كلامهم ؛ حتى بات لبعض العامة أسلوب في النهج والتعبير يذكر عن قرب ، بما في (ألف ليلة وليلة) من أساليب منوعة في النهج والتعبير ، على نحو ما صبغت (كليلة ودمنة) أساليب كثيرة من أساليب الكتّاب والأدباء... ويكفي ، في التدليل على سعة انتشار(ألف ليلة وليلة) أن تهافت على نشرها أولى المطابع العربية في كلكوتا ، والقاهرة ، وبغداد ، ودمشق ، وبيروت ، وأنها لا تزال في طلاب دور النشر الحديثة ، ثم كانت أسبق المؤلفات العربية ، نقلاً إلى لغات غير العرب ، فعرفت لها منذ ما يزيد على المائة سنة ، ترجمات عديدة ، أهمها الفرنسية والإنجليزية[١] .

---

(١) لم يعرف لكتاب (ألف ليلة وليلة) كاتب معين أو مؤلف محدد ، ينسب جزماً إليه....فهو في ذلك على نحو ما هي عليه مؤلفات كثيرة في العالم ، يحار الرأي العلمي في صحة نسبتها ، كما يحار ،جاداً في حقيقة وجود بعض الذين تنسب إليهم روائع عالمية كهوميروس وشكسبير.... حتى إن المحققين يحارون في تعيين جنسية واضع (ألف ليلة وليلة) وفي هل يكون واحداً أم أكثر من واحد؟؟؟ فيذهب الشرواني ، مثلاً في مقدمة الطبعة الإيرانية إلى أن واضع الكتاب سوري ، جعله في لغة مبسطة متوخياً تعليم اللغة العربية إلى الراغبين فيها أكثر ما توخى الاقتراب من إفهام الناس... وقد لحقه الرأي (De Sacy) الذي لا يستبعد أن يكون قد زاد على الأصل السوري النقلة والحكاؤون ، في كل زمان ومكان ، أخباراً وحكايات من عندهم...ويميل(Scott) في مقدمته للطبعة الإنجليزية إلى أن واضع الكتاب أكثر من رجل واحد ، فلا يعرف البادئ ولا المتأخرون ولا تعرف جنسياتهم... أما (Langlés) فعلى رأي المسعودي الذي يردّ الكتاب إلى الهند – المسعودي ، مروج الذهب ، طبعة Barbier De Meynard ، باريس ، ١٩١٤ ، الجزء الرابع ، الصفحة ٨٩ : ٩٠ – في قوله : ....." وإن سبيل الأخبار سبيل الكتب المنقولة إلينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية ، سبيل تأليفها ما ذكرنا مثل كتاب "هزار أفسانه" وتفسير ذلك من الفارسية إلى العربية ألف خرافة ، والخرافة بالفارسية يقال لها أفسانه ، والناس يسمون هذا الكتاب "ألف ليلة وليلة" وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها وهما شيرازاد ودنيازاد ، ومثل كتاب فرزة وسيماس وما فيها من أخبار ملوك الهند والوزراء ومثل كتاب السندباد وغيرها من الكتب في هذا المعنى"..ويعطي الأب صالحاني في مقدماته السابقة لهذه الطبعة ستة أدلة ودليلاً على أن واضع هذا الكتاب عربي ، وقد استند في ذلك بنوع خاص ، إلى أن ما قاله صاحب الفهرست في الجهشياري :..." قال محمد بن اسحق : ابتدأ أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري ، صاحب كتاب الوزراء ، بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم ، كل جزء قائم بذاته ، لا يعلق بغيره ، واحضر المسامرين فأخذ عنهم أحسن ما

ولعل كتاب ألف ليلة وليلة هو من أكبر المساهمين في تقديم صورة الحجاج للعوام فهو الظلوم الغشوم،الذي يختطف زوجات المسلمين ويقدّمهنّ هدايا لسيّده الخليفة عبد الملك بن مروان، ويتفق رواة ألف ليلة وليلة، في الحكايات التي ذكرت الحجّاج بن يوسف الثقفي، على أنّه أهمّ ممثلي الولاة الظلمة والاستبداديين الذين ذكرتهم الليالي، ورسمت ملامحهم، تأسيساً على الأدبيّات التاريخيّة التي ساعدت رواة الليالي على تشكيل حكاياتهم، أو نقلها بتحويرات كبيرة جدّاً .

وهذه تقدم الحجاج في صورة الظلوم الغشوم الطاغية الذي يجرؤ علي أعراض ولا يري حرمات للناس وهذه تثبت للحجاج من صفات السوء فوق ما ذكرنا الخسة والضعة والفجاجة... ولأن القصة طويلة فسوف أعرضها عرضا مختصرا غير مخل بتصرف نقدي إلي حد ما إذ تكشف الحكاية عن امرأة جميلة اسمها (نعم)، وقد كانت زوجة لـ (نعمة بن الرّبيع[١])، و"لم يكن بالكوفة جارية أحسن ولا أحلى ولا أظرف منها، وقد كبرت وقرأت القرآن والعلوم، وعرفت أنواع اللّعب والآلات، وبرعت في المغنى وآلات الملاهي، حتى أنّها فاقت جميع

يعرفون ويحسنون واختار من الكتب المصنفة في الأسماء والخرافات ما يحلو لنفسه ، وكان فاضلاً ، فاجتمع له من ذلك أربعمائة ليلة وثمانون ليلة ، كل ليلة سمر تامة تحتوي على خمسين ورقة ، وأقل وأكثر ، ثم عاجلته المنية قبل استيفاء ما في نفسه من تتميمه ألف سمر ، ورأيت من ذلك عدة أجزاء بخط أبي الطيب أخي الشافعي"(محمد بن اسحق النديم ، في كتاب الفهرست ، طبعة القاهرة ، السنة ١٣٤٨ هـ ، الصفحة ٤٢٢ + ٤٢٣)....

ويستنتج ماكدونالد على أن الأصل الأول لهذا الكتاب فارسي بدليل أن أولى لياليه منقولة إلى العربية عن (هزار أفسانه) ....ويزيد هومبير أن "ألف ليلة وليلة" إن لم تكن فارسية فهي هندية ... ثم يتفق (Schlegel وGildmeister و Deslongchamps و Loisleur) على إعطاء الكتاب إلى الهند ، مع الإفراد للفرس وللعرب ببعض الفضل فيه... فمهما يكن من أمر....ومهما تكب النتائج التي بلغ الباحثون في معرفة حقيقة واضع هذا الكتاب، فما لا مراء فيه أن كتاب "ألف ليلة وليلة" من نتاج مخيلة الشعوب الشرقية ، والآسيوية منها على الأخص ، فلا يستطيع أن يدعيه كاتب من كتّابهم ، ولا يستطيع أن يدعيه شعب من شعوبهم ، إن هو مجموعة حكايات شعبية ولد بعضها في مخيلة الهنود ، وبعضها في مخيلة الفرس ، وبعضها في مخيلة العرب والمصريين ، وكان ذلك من أقدم العصور إلى أن خطر في بال غاو أو حكّاء من العرب أن يجمع كل ذلك في كتاب ، راح بعده الغواة والحكّاؤون يزيدون عليه مع الأيام حتى عرف أخيراً في نص تعددت صيغه بتعدد المخطوطات التي نقلته إلينا....

(١) ألف ليلة وليلة :٢ /١٣٢ :١٤٥ ، ط. سعيد علي الخصوصي صاحب المطبعة والمكتبة السعدية بجوار الأزهر الشريف ،١٩٥١م.

أهل عصرها[١]"... شاع خبر جمال هذه المرأة في مدينة الكوفة، فيسمع بها الحجّاج، ويقرّر أن يحتال عليها ويخطفها، ويقدّمها هديّة للخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان !!.

ويلجأ الحجّاج إلى إحدى العجائزّ لمساعدته في حبك الحيلة، واختطاف (نعم) يقول الرّاوي "ثمّ استدعى بعجوز قهرمانة وقال لها: امضي إلى دار الرّبيع واجتمعي بالجارية نعم، وتسبّبي في أخذها، لأنّه لا يوجد على وجه الأرض مثلها، فقبلت العجوز من الحجّاج ما قاله".

عمليّة اختطاف الجارية سيكون لها مكافأة ماليّة كبيرة يقدّمها الحجّاج إلى القهرمانة، وهو مستعدّ لتقديم هذه المكافأة، طالما أنّ خطف هذه الجارية سيحقّق له مكافأة أهمّ، وهي زيادة حظوته عند عبد الملك بن مروان، وبالتالي تغاضي هذا الأخير عن عبث الحجّاج بالمجتمع الإسلاميّ، وتنكيله بشرفاء هذا المجتمع، كما هو مذكور في بعض المصادر ومعروف تاريخيّاً ويقول راوي الحكاية:" ثمّ إنّ العجوز توجّهت إلى الحجّاج. فقال لها: ما وراءك ؟ فقالت له: إنّي نظرت إلى الجّارية فرأيتها لم تلد النّساء أحسن منها في زمانها. فقال لها الحجّاج: إن فعلت ما أمرتك به يصل إليك منّي خير جزيل. فقالت له: أريد منك المهلة شهراً كاملاً. فقال لها: أمهلك شهراً".

وتستطيع القهرمانة خلال هذا الشّهر أن تقدّم نفسها لـ (نعمة بن الربيع) وزوجته (نعم) وأسرته،على أنّها مثال للزّاهدة المتعبّدة، الفانية عمرها في الرّكوع والسّجود والدّعاء والصّوم. وعندما يتأكّد كل من في الدّار أنّهم أمام سيّدة زاهدة، تختلي العجوز بالجارية (نعم) وتقول لها:"يا سيّدتي والله إنّي حضرت الأماكن الطّاهرة ودعوت لك، وأتمنّى أن تكوني معي حتى تري المشايخ الواصلين ويدعون لك بما تختارين". وتنطلي الحيلة عليها، وعلى أمّ زوجها، عندما كان زوجها خارج منزله، إذ تقول (نعم) لأمّ زوجها:"سألتكِ بالله أن تأذني لي في الخروج مع هذه المرأة الصّالحة لأتفرّج على أولياء الله في الأماكن الشّريفة، وأعود بسرعة وقبل مجيء سيّدي". وأمام دهاء العجوز القهرمانة وورعها

(١) ألف ليلة وليلة : ٢ /١٣٢

الزّائف، وتوق الجارية لزيارة الأماكن الشّريفة، اضطرّت الأم لأن تسمح لزوج ابنها بالخروج، وما إن تخرج الزّوجة (نعم) من دارها حتى تسارع القهرمانة بالاحتيال عليها، وأخذها إلى قصر الحجّاج بن يوسف بالكوفة، القصر الذي تظنّه (نعم)، للوهلة الأولى، مكاناً طاهراً يجتمع فيه أهل الذّكر من أولياء الله الصّالحين." ثمّ أخذت الجارية بالحيلة وتوجّهت بها إلى قصر الحجّاج، وعرّفته بمجيئها بعد أن أدخلتها في مقصورة، فأتى الحجّاج ونظر إليها، فرآها أجمل أهل زمانها ولم ير مثلها، فلمّا رأته نعم سترت وجهها، فلم يفارقها حتى استدعى حاجبه وأركب معها خمسين فارساً ، وأمره أن يأخذ الجارية على نجيب سابق، ويتوجّه بها إلى دمشق، ويسلّمها إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، وكتب له كتاباً".

والقهرمانة العجوز في الحكاية متقنّعة بثياب الزّهاد ،و"في تسبيح وابتهال وقلبها ملآن بالمكر والاحتيال" و تجد نفسها مندفعة للتورّط في الحيلة، لأنّها تحقّق من خلالها امتلاك الثروة من جهة، وتأمن شرّ السلطة السياسيّة وبطشها من جهة أخرى، فهي لا تستطيع أن ترفض طلب الظالم كالحجّاج بن يوسف الثقفي.

ويُلاحظ في حكاية نعم ونعمة أنّ الحجّاج لا يعمل على العبث بأمن مواطنيه في الكوفة، وتفريقهم عن أزواجهم، وتهجيرهم قسريّاً عن أوطانهم، ونشر بذور الفساد، وذلك بتشجيع مفاهيم الاحتيال والاختطاف فحسب، بل هو يكذب على الخليفة عبد الملك بن مروان، ويدّعي أنّه اشترى له الجارية الجميلة نعم بعشرة آلاف دينار.

يقول الرّاوي:" فتوجّه الحاجب وأخذ الجارية على هجين، وسافر بها وهي باكية العين من أجل فراق سيّدها، حتى وصلوا إلى دمشق، واستأذن على أمير المؤمنين فأذن له، فدخل الحاجب عليه وأخبره بخبر الجارية، فأخلى لها مقصورة. ثم دخل الخليفة حريمه فرأى زوجته، فقال لها: إنّ الحجّاج قد اشترى لي جارية من بنات ملوك الكوفة بعشرة آلاف دينار، وأرسل إليّ هذا الكتاب وهي صحبة الكتاب".

إنّ سلوك الحجّاج في الحكاية، وهو يخطف النّساء، ويؤسّس لما يهدم القيم الإنسانيّة في المدينة الإسلاميّة، من كذب واحتيال، وتفريق بين المحبّين، وتهجير قسري لهم، ليس غريباً أو بعيداً عن مجمل مواقفه وتصرّفاته التّاريخيّة التي كانت معادية لجميع مفاهيم الحقّ والعدل، والرّحمة بالرّعيّة. وها هو يعترف بنفسه أنّ فيه كثيراً من العيوب التي تؤكّد معاداتها للمفاهيم الإنسانيّة التي يجب أن يتحلّى بها من يصبح والياً على المسلمين، من خلال حواره الآتي مع الخليفة عبد الملك بن مروان: «وقال عبد الملك بن مروان للحجّاج: إنّه ليس من أحد إلاّ وهو يعرف عيب نفسه، فصف لي عيوبك.

قال: اعْفني يا أمير المؤمنين.

قال: لست أفعل.

قال: أنا لجوج لدود حقود حسود.

قال: ما في إبليس شرٌّ من هذا[1] ".

ويدين الرّاوي في حكاية (نعم ونعمة) جلاوزة الحجّاج، وصاحب شرطته، إذ يصوّره متقاعساً عن كشف جرائم الاختطاف التي تحدث في الكوفة، ومتواطئاً مع سيّده الحجّاج في التّغطية على خطف (نعم) جارية (نعمة)، إذ بعد أن تُخطف الجارية يشكّ (نعمة) بأنّ الذي خطف جاريته هو صاحب الشّرطة، فيتوجّه إلى داره، ويتوعّده بأنّه سيشكوه إلى الحجّاج إن لم يرجع الجارية له. يقول الرّاوي:" ثمّ توجّه إلى صاحب الشّرطة فقال له: أتحتال عليّ وتأخذ جاريتي من داري فلا بدّ لي أن أسافر وأشتكيك إلى أمير المؤمنين. فقال صاحب الشّرطة: ومن أخذها؟ فقال: عجوز صفتها كذا وكذا، وعليها ملبوس من الصّوف وبيدها سُبْحة عدد حبّاتها ألوف. فقال له صاحب الشّرطة: أوقفني على العجوز وأنا أخلّص لك جاريتك. فقال: ومن يعرف العجوز؟ فقال له صاحب الشّرطة: ما يعلم الغيب إلاّ الله سبحانه وتعالى. وقد علم صاحب الشّرطة أنّها محتالة الحجّاج، فقال له نعمة: ما أعرف حاجتي إلاّ منك وبيني وبينك الحجّاج. فقال له: امضِ إلى من شئت". إلاّ أنّ خيبة (نعمة بن الرّبيع) كانت شديدة عندما استمع إلى المسرحيّة الهزليّة التي

(١) أحمد بن عبدربه ، العقد الفريد :٢ /٢١٢

افتعلها الحجّاج مع صاحب شرطته، طالباً منه أن يبحث عن العجوز المحتالة، وعن الجارية (نعم)، ويعيدها إلى صاحبها: "فقال (الحجّاج:) هاتوا صاحب الشّرطة فنأمره أن يفتّش على العجوز. فلمّا حضر صاحب الشّرطة قال له: أريد منك أن تفتّش على جارية نعمة بن الرّبيع. فقال له صاحب الشّرطة: لا يعلم الغيب إلاّ الله تعالى. فقال له الحجّاج: لا بدّ أن تركب الخيل وتبصر الجارية في الطّرقات وتنظر في البلدان والطّرقات وتفتّش على الجارية. ثمّ التفت إلى نعمة وقال له: إن لم ترجع جاريتك دفعت لك عشر جوارٍ من دار صاحب الشّرطة".

وعندما سمع (نعمة) ما قاله الحجّاج، خرج يائساً وذهب إلى داره، فشاهده والده الرّبيع بن حاتم الذي كان من أكابر أهل الكوفة ووجهائها، وخبيراً عارفاً بأخلاق الحجّاج وتجاوزاته، وتواطؤ صاحب شرطته، وتغطيته لهذه التّجاوزات، وتأكّد أنّ الذي خطف زوج ابنه هو الحجّاج بن يوسف الثّقفي. يقول الرّاوي:" وخرج نعمة مغموماً وقد يئس من الحياة، وكان قد بلغ من العمر أربع عشرة سنة، ولا نبات بعارضيه، فجعل يبكي وينتحب، وانعزل في داره. ولم يزل يبكي إلى الصّباح، فأقبل والده عليه وقال: يا ولدي إنّ الحجّاج قد احتال على الجّارية وأخذها، ومن ساعة إلى ساعة يأتي الله بالفرج من عنده، فتزايدت الهموم على نعمة وصار لا يعلم ما يقول ولا يعرف من يدخل عليه. وأقام ضعيفاً ثلاثة أشهر حتّى تغيّرت أحواله ويئس منه أبواه، ودخلت عليه الأطباء فقالوا: ما له دواء إلاّ الجارية".

وما إن يصل (نعمة بن الرّبيع) إلى دمشق، لأجل البحث عن جاريته، حتى يكشف السّرد الحكائي عن وجود جاريته (نعم) في قصر عبد الملك بن مروان. وهنالك في قصر الخليفة تنكشف الحقيقة، وتؤكّد أخت الخليفة أنّ الحجّاج كان كاذباً في ما ادّعاه:" فقالت أخت الخليفة: يا أمير المؤمنين إنّ هذه الواقفة هي نعم المسروقة. سرقها الحجّاج بن يوسف الثّقفي وأوصلها لك، وكذب فيما ادّعاه في كتابه من أنّه اشتراها بعشرة آلاف دينار، وهذا الواقف هو نعمة بن الرّبيع سيّدها، وأنا أسألك بحرمة آبائك الطّاهرين أن تعفو عنهما وتهبهما لبعضهما، لتغنم أجرهما، فإنّهما في قبضتك وقد أكلا من طعامك وشربا من شرابك، وأنا الشّافعة فيهما المستوهبة دمهما".

وتؤكّد الحكاية أنّ الخليفة عبد الملك بن مروان عفا عنهما، ووهبهما لبعضهما. وقد يتساءل متلقّي الحكاية: لِمَ تستحلف أخت الخليفة ــ التي لا يذكر الرّاوي اسماً لها ــ أخاها أن يعفو عنهما ؟ وما هي الجريمة التي ارتكباها حتى يعفو عنهما؟ وما جدوى هذا العفو مادام لا يوجد هناك أية جريمة ؟. فبحث (نعمة) عن زوجته هو بحث مشروع، ولم يكن متجاوزاً لهيبة الخليفة وسلطاته، مادامت الجارية الأسيرة في قصره هي زوجة رجل من رعاياه كان قد ظلمه الحجّاج والي هذا الخليفة. ولأنّ الرّاوي في هذه الحكاية مؤدلج ضدّ الوالي الظّالم الحجّاج، و متعاطف مع سيّده عبد الملك بن مروان في آن، فقد رأى ضرورة أن يتحلّى أمير المؤمنين بدمشق، بالحكمة والعدل ، اللّذين يدفعانه للعفو عن (نعمة) وزوجته (نعم). وقد اضطّر أن يقول على لسان الخليفة:" لا بأس عليكما فقد وهبتكما لبعضكما». وقد غاب عن إيديولوجية هذا الرّاوي أنّ (نعمة) و (نعم) ليسا مجرمين بحق سلطة عبد الملك ابن مروان وسياسته، وأنّ هذا العفو في المحصّلة الأخيرة ليس كرماً من الخليفة، ولا مأثرة من المآثر الّتي يجب أن تُذكَر له، مادام المعفو عنهما مظلومين ومهجّرين من قبل واليه المحتال الحجّاج. ويمكن القول: إنّ أي رجل عادي سويّ جنسيّاً، ومستقيم أخلاقيّاً، لو وُضِع موضع الخليفة عبد الملك بن مروان لكان قد تصرّف مثله، وأرجع (نعم) لسيّدها (نعمة).

ومن الملاحظ، أنّه على الرّغم من أنّ عبد الملك بن مروان تأكّد أنّ واليه الحجّاج قد اعتدى على حرمة المرأة (نعم) وكرامتها، وسلبها حرّيتها بالخطف، وحوّلها إلى جارية مستلبة، وهجّرها قسريّاً من مدينتها الكوفة، وحرمها من زوجها (نعمة). وسبب تعاسة لهذا الزّوج كادت تفتك به، واجترأ وكذب على الخليفة – على الرّغم من أنّه يمثّل أعلى رمز سياسيّ سلطويّ، ودينيّ في الدّولة الإسلاميّة قاطبة، في عهد بني أميّة – وعلى الرّغم من كل ذلك، فإنّ الحكاية تنتهي من دون أن تشير أية إشارة إلى أنّ الخليفة عاقب واليه الحجّاج على جريمته أو أدانه، أو حتّى استدعاه، وسأله: لماذا ينتهك حرمات منازل المسلمين، ويعتدي على حرّيات المواطنين في الكوفة؟. ولقد غاب عن الرّاوي المتعاطف مع نظام السّلطة الإسلاميّة المركزيّة بدمشق، والّتي يمثّلها عبد الملك ابن مروان، أنّ انفراج الحكاية على نهاية سعيدة، ينعم بها أبطال الحكاية: عبد الملك بن مروان،

و (نعمة) و(نعم)، والطبيب العجمي الذي سافر مع (نعمة) من الكوفة إلى دمشق، حيث "أقاموا في أطيب عيش إلى أن أتاهم هادم اللّذات ومفرّق الجماعات"، ليس شرطاً أن يشكّل حالة سعيدة، أو أدنى مستوى من مستويات العيش الطّيب عند مواطني الكوفة الّذين يتعرّضون لمزيد من ظلم الحجّاج وانتهاكاته لحرمات منازلهم، طالما أنّ الخليفة تجاوز عن جريمة الحجّاج ولم يعاقبه عليها، وطالما أنّه ما دام قائماً على رأس السّلطة السّياسيّة والدّينيّة في الكوفة.

من دلائل تزييف خيال العامة للقصة :ـ

– في الأساليب :

حيث يشيع فيها أساليب أقرب إلي أساليب العامة. ولم تكن هذه الأساليب غير الفصيحة موجودة في عصر بني أمية ؛ حيث مازالت العربية علي فصاحتها لقرب عهدها بعصر النبوة من مثل ما جاء علي لسان العجوز" خرجت طالبة العبادة والسياحة[١]" أسلوب أقرب إلي أسلوب العامة في العصر المملوكي ثم لم تكن السفر للعبادة والسياحة معروفة في هذا العصر في ظل وجود الجهاد والفتوحات، وأيضا قولها "وأنا أعبر إلي ديار الأمراء والأكابر[٢]" وقول الراوي "ثم انتصبت في المحراب[٣]" أي محراب في بيت شاب ثري مولع بجاريته وبغنائها مما يدل علي أن السرد الحكائي كان يغلب علي الراوي فيأتي بما يثير القارئ دون النظر إلي الواقعية والمصداقية وقوله "وأقبل الليل بالاعتكار[٤]" ليس لهذا الأسلوب معني في اللغة في هذا العصر ويلاحظ أحيانا الخلل في الأحداث فقد جاء الليل وجاءت (نعم) للعجوز بالطعام طالبة منها الدعاء فرد عليها " إني صائمة[٥] " وهل هناك صيام بالليل ثم العجب أنها عقبت "وأما أنت فصبية يصلح لها الأكل والشرب والطرب" وهل هذا الكلام يصلح من عجوز زاهدة تطلب العبادة والسياحة ثم تحث غيرها علي الاستمتاع والطرب وقبلها كانت تتحدث عن الآخرة وان الذي يريدها لا يستريح فكيف يستقيم هذا وذاك!.

---

(١) ألف ليلة وليلة :١٣٣/٢
(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة
(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة
(٤) نفس المصدر ونفس الصفحة
(٥) ألف ليلة وليلة :١٣٤/٢

ومن الأساليب العامية الركيكة الكثيرة ما جاء علي لسان نعمة وهو يطلب من نعم أن تفرد مكانا للعجوز ولا تدعي أحدا يدخل عليها يقول:" ولا تخلي أحدا يدخل عليها" تخلي هذه من الألفاظ التي يستعملها العامة بهذا المعني في أوقات متأخرة وإلي الآن.

ما جاء علي لسان العجوز:" الله يبقيكما.... توصوا البواب..." الدعاء بطول البقاء لم يعرف في هذا العصر بهذه الصيغة وكذلك تسمية البواب لمن يقف علي الأبواب لم تكن تعرف بهذا المسمي فكان يعرف بالحاجب والحارس.

وهكذا لو استقصينا الأساليب العامية الركيكة في القصة لطال البحث لكن بالجملة أسلوب القصة يدل علي اختراع العوام لها للنيل من الحجاج والتشفي فيه.

– شخصية نعمة بن الربيع بن حاتم خيالية مخترعة من خيالات من كتبوا ألف ليلة وليلة .

– في شخصية المرأة التي استعان بها الحجاج لتحتال علي (نعم) وصفت "لبست أثوابها ووضعت في رقبتها سبحة عدد حباتها ألوف" والمسبحة لم تكن معروفة بهذه الصفة ولا بدلالتها علي الصلاح والزهد في العصر الأموي بل إنها عرفت في عصور متأخرة من الباحثين من قال إنها ظهرت في العصر العباسي والكثير من الباحثين علي أنها بعد ذلك .

– طلب العجوز من (نعم) أن تذهب معها ل"تري المشايخ الواصلين" هذا من المصطلحات المتأخرة التي انتشرت مع انتشار التصوف مع نهايات العصر العباسي.

– جاء في القصة أن الحجاج استعان بعجوز لتحتال له لأخذ الفتاه وهل الحجاج في ظلمه وعتوه يخاف حتي يلجأ لحيلة ولما لم يطلبها مباشرة أو يأخذها عنوة.

– في القصة علي لسان عبد الملك إنّ الحجّاج قد اشترى لي جارية من بنات ملوك الكوفة بعشرة آلاف دينار، فهل هناك ملوك في الكوفة ينازعون عبد الملك في سلطانه ؟!!! أم أن الكوفة مملكة أخري لا تخضع لسلطان عبد الملك!!! وهل هناك ملوك يبيعون بناتهم؟!!

(القصة الثانية : الحجاج والمرأة)

وهناك قصة (الحجاج وهند بنت النعمان)[١] وقد ساهم في شهرة هذه القصة أيضا أنها وردت في كتاب ألف ليلة وليلة أيضا وتقول بعض روايات القصة:"

شاعرة فصيحة وأديبة برزة كانت ذات حسن وجمال كانت عند روح بن زنباع. ثم وصف للحجاج حسنها فأنفذ إليها يخطبها وأجزل لها مالاً جزيلاً وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم. ثم دخل عليها في بعض الأيام وهي تنظر في المرآة وتقول :

وما هند إلا مهرة عربية ∴ سليلة أفراس تحللها بغلُ

فإن ولدت فحلاً فلله درها ∴ وإن ولدت بغلاً فجاء به البغلُ

فانصرف الحجاج راجعاً وأراد طلاقها وأنفذ إليها عبد الله بن طاهر وقال: يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما. فدخل عبد الله بن طاهر عليها وقال لها: يقول لك أبو محمد الحجاج كنتِ فبنتِ وهذه المائتا ألف درهم التي كانت لك قبله . فقالت: اعلم يا ابن طاهر إنا والله كنا فما حمدنا وبنّا فما ندمنا وهذه المائتا ألف درهم التي جئت بها بشارة لك بخلاصي من كلب ثقيف. فبلغ بعد ذلك عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فأرسل إليها يخطبها فأرسلت إليه كتاباً تقول فيه بعد الثناء: اعلم يا أمير المؤمنين أن الإناء ولغ فيه الكلب. فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها وكتب إليها يقول: إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب فاغسلي الإناء يحل الاستعمال. فلما قرأت كتاب عبد الملك كتبت إليه بعد الثناء عليه: يا أمير المؤمنين والله لا أحل العقد إلا بشرط فإن قلت ما هو الشرط قلت أن يقود الحجاج محملي من المعرة إلى بلدك التي أنت فيها ويكون ماشياً حافياً بحليته التي كان فيها أولا فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكاً شديداً وأنفذ إلى الحجاج وأمره بذلك. فلما قرأ الحجاج رسالة عبد الملك أجاب وامتثل الأمر ولم يخالف وأنفذ إلى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج في موكبه حتى وصل المعرة بلد هند. فركبت هند في محمل الزفاف

(١) أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة :٢٥٧/٥، ٢٥٨، ٢٥٩ ، مؤسسة الرسالة، ١٩٥٩م.نقلا عن المستطرف للابشيهي، العقد الفريد لابن عبدربه ، تاريخ ابن خلكان، أخبار النساء لابن القيم ، تحفة المجالس للسيوطي.

وركب حولها جواريها وخدمها وأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده ويسير بها فجعلت هند تتواغد عليه وتضحك مع الهيفاء وعندما قربت من بلد عبد الملك رمت بدينار على الأرض ونادت يا جمال إنه قد سقط منا درهم فارفعه إلينا. فنظر الحجاج إلى الأرض فلم يجد إلا ديناراً فقال: إنما هو دينار. فقالت: بل هو درهم. قال: بل دينار .فقالت: الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله ديناراً. فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جواباً. ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها. وعند وصولهم تأخر الحجاج في الإسطبل والناس يتجهزون للوليمة فأرسل إليه الخليفة ليطلب حضوره فرد عليه نحن قوما لا نأكل فضلات بعضنا أو انه قال:ربتني أمي علي ألا آكل فضلات الرجال ، ففهم الخليفة مقصد الحجاج (أي أن الحجاج قصد بالفضلات هنا المرأة وليس الطعام) وأمر الخليفة أن تدخل زوجته بأحد القصور ولم يقربها إلا انه كان يزورها كل يوم بعد صلاة العصر.فعلمت هي بسبب عدم دخوله عليها، فاحتالت لذلك وأمرت الجواري أن يخبروها بقدومه لأنها أرسلت إليه إنها بحاجه له في أمر ما فتعمدت قطع عقد اللؤلؤ عند دخوله ورفعت ثوبها لتجمع فيه اللآليء ،فلما رآها عبد الملك... أثارته روعتها وحسن جمالها وتندم لعدم دخوله بها لكلمة قالها الحجاج ، فقالت: وهي تنظم حبات اللؤلؤ.... سبحان الله فقال: عبد الملك مستفهما لم تسبحين الله فقالت: أن هذا اللؤلؤ خلقه الله لزينة الملوك قال: نعم قالت: ولكن شاءت حكمته ألا يستطيع ثقبه إلا الغجر فقال: متهللا . نعم والله .. صدقتي ، قبح الله من لامني فيك ودخل بها من يومه هذا فغلب كيدها كيد الحجاج.

من دلائل تزييف خيال العامة للقصة:ـ

أولا : الاختلاف في بطلة القصة هند فمن قائل هي هند بنت النعمان بن المنذر وتكنى أيضا بهند الصغرى تميزا عن هند بنت الحارث. هي أميرة فصيحة من بيت إمارة، ولدت ونشأت في بيت الملك بالحيرة، ولما غضب كسرى على أبيها النعمان وحبسه ومات في حبسه، ترهبت ولبست المسوح وأقامت في دير بنته بين الحيرة) والكوفة عرف بدير هند الصغرى. وهو من أعظم ديارات

الحيرة ، التي غاب أثرها، وقيل أن هند، عاشت حتى زمن الحجاج بـــن يوســـف الثقفي (٩٥ هـــ)[١]، ومعظم من يذكر ذلك خيال العامة العراقي[٢].

(١) ينظر في ترجمة هند بنت النعمان بن المنذر : تاريخ الرسل والملوك، أو تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن حرير الطبري، الجزء الأول، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم. القـــاهرة دار المعارف ١٩٧٩م، وتاريخ الكنيسة الشرقية، الأب ألبير أبونا، ط. المطبعة العصرية الموصل، ١٩٧٣م ،والمسيحية والحضارة العربية، الأب جورج شحادة قنواتي ، نشر:المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (الثانية) ١٩٨٤م ، كنيسة المشرق، الأب يوسف حبي. بغداد. د.ن. ١٩٨٩م.

(٢) (لمحات تاريخية) في كتاب العراق ١٩٨٨، نزار عبد اللطيف الحديثي ، الكتـــاب الســـنوي للجمهورية العراقية. بغداد دار المأمون، ١٩٨٩م.وكثير ممن ينشرون في شبكة المعلومـــات الدولية:http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=344778

ومنهم من قال إنها هند بنت النعمان بن بشير[١]،وبعضهم يقول إنها هند بنت المهلب[٢] .

ثانيا: من دلائل كذب القصة أيضا: ملامح احتقار الخليفة عبد الملك بن مروان لعامله الحجّاج أنّه يرضى بالشرط الذّي اشترطته هند على الخليفة حتّى تقبله زوجاً، فقد اشترطت عليه ما يلي: أن يقود الحجّاج محملي إلى بلدك التي أنت فيها، ويكون حافياً بملبوسه الّذي هو لابسه" ويوعز للحجّاج أن يقود محملها من بلدها معرّة النعمان إلى مدينة دمشق مقرّ الخلافة، فيمتثل الحجّاج للأمر، ويسافر من العراق إلى بلدها معرّة النعمان ليقود محملها إلى دمشق حافياً ذليلاً. وبقدر ما يبدو شرط هذه المرأة سخيفاً ومتسلّطاً وفاقداً لأبسط مفاهيم القيم الإنسانيّة والجماليّة،.... إنّ هذا الشّرط الغرائبيّ الذي اشترطته هند على الخليفة، وقبوله به لا يعني إلاّ شذوذاً وانحرافاً في التفكير والسّلوك، يسعى صاحبه إلى تحقيق رغبة استبداديّة ساديّة من رغبات الخلفاء ونساء السّلطة في مدن ألف ليلة وليلة، إذ تغيب ظاهرة الحلم والعفو عند هؤلاء ليحلّ محلّها سلوك مستبّد يُرضي طموح ذات سلطويّة مريضة، لا ترى في شعبها إلاّ قطيعاً مهمّته أن يظلّ منقاداً لها، و " كما تقضي الطّبيعة بأن يقود الرّاعي قطيعه، ويتصرّف به، وبأن يستجيب القطيع لراعيه ويتبعه، تقضي بأن يقود الحاكم شعبه، أي رعيّته، ويتصرّف به، وبأن يطيع الشّعب حاكمه، أي راعيه، ويتبعه.

وهذا مخالف لما ذكر في روايات تاريخية موثوقة عن مكانة الحجاج عند عبد الملك فقد ورد أن "الوليد بن عبد الملك قال حين مات الحجاج: أما والله لئن سئلت عنه، ولأسألن، لأقولن: كان والله القوي الأمين. وخطب قال: ألا إن أمير

---

(١) أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة :٢٥٧/٥، ٢٥٨، ٢٥٩ ، مؤسسة الرسالة، ١٩٥٩م، نقلا عن العقد الفريد لابن عبدربه(٢/ ٤٢٤) ، تاريخ ابن خلكان، أخبار النساء لابن القيم ، تحفة المجالس للسيوطي.. وهذا هو الأصح والأقرب إلي الصواب من الناحية التاريخية وما عليه كلام المؤرخين.

(٢) منهم الدكتور : محمد العريفي وهو يقص هذه القصة في أحد لقاءاته علي وسائل الإعلام المرئية.

المؤمنين عبد الملك كان يقول: إن الحجاج جلدة ما بين عيني، ألا وإنه جلدة وجهي كله[١]"

(القصة الثالثة:الحجاج والطفل)

ومن كراهة الناس للحجاج وظلمه اخترعوا عليه قصة تبين أن طفلا غلبه؛ ليتشفوا فيه ويذلوه وقد رويت القصة بروايات مختلفة من أشهرها هذه الرواية التي تقول:

كان الحجاج ذات يوم في الصيد فرأى تسعة كلاب إلى جانب صبي عمرة عشر سنوات وله ذوائب قال له الحجاج. ماذا تفعل هنا أيها الغلام ؟فقال له الغلام. ياحامل الأخبار لقد نظرت إلى بعين الاحتقار وكلمتني بالافتخار وكلامك كلام جبار وعقلك عقل حمار!.فقال الحجاج: أما عرفتني فقال الغلام: عرفتك بسواد وجهك لأنك أتيت بالكلام قبل السلام فقال الحجاج: ويلك أنا الحجاج بن يوسف الثقفي فقال الغلام: لا قرب الله دارك ولا مزارك فما أكثر كلامك واقل إكرامك ،فما أتم كلامه إلا والجيش لحق به وكل واحد يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال لهم: احفظوا هذا الغلام فقد أوجعني بالكلام . وذهب الحجاج إلى القصر فقال: احضروا الغلام فلما مثل بين يديه قال الحجاج: ياغلام لقد حضرت في يوم تم فيه أجلك وخاب فيه أملك فقال الغلام : والله ياحجاج إن كان في اجلي تأخير لم يضرني من كلامك لا قليل ولا كثير! سأل الحجاج الغلام هل تعرف أخي ؟ فقال الغلام:أخوك فرعون حين جاءه موسى وهارون ليخلعوه عن عرشه فاستشار جلسائه فقال الحجاج: اضربوا عنقه فقال له الرقاشي[٢]: هبني إياه يا أمير

---

(١) ينظر : أنساب الأشراف للبلاذري ، البيان والتبيين للجاحظ ، والأنساب للصحاري ، والعقد الفريد ، ٤ /١١٢

(٢) يزيد بن أبان الرقاشي ، أبو عمرو البصري ، القاص من زهاد أهل البصرة ، وهو عم الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي كنيته أبو عمرو وقيل:الرقاشي البصري يعتبر يزيد بن أبان الرقاشي من الطبقة الخامسة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم صغار التابعين وتوفي عام ١٢٠هـ. ينظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، مؤسسة الرسالة – بيروت ،الطبعة الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠

المؤمنين أصلح الله شأنك فقال الحجاج:هو لك لا بارك الله فيه فقال الغلام:لا شكر للواهب ولا للمستوهب. فقال الرقاشي: أنا أريد خلاصك من الموت فتخاطبني بهذا الكلم!. فقال الحجاج للغلام:من أي بلد أنت ؟ فقال الغلام. من مصر فقال الحجاج. من مدينة الفاسقين فقال الغلام . ولماذا أسميتها مدينه الفاسقين؟ فقال الحجاج. لان شرابها من ذهب ونسائها لعب ونيلها عجب وأهلها لا عجم ولا عرب فقال الغلام. لست منهم فقال الحجاج. من أي بلد إذن ؟ فقال الغلام أنا من أهل خرسان فقال الحجاج. من شر مكان واقل الأديان فقال الغلام. ولم ذلك يا حجاج؟ فقال: لأنهم أعجام مثل البهائم والأغنام كلامهم ثقيل وغنيهم بخيل فقال الغلام: لست منهم.فقال الحجاج: من أين أنت؟ قال: أنا من مدينه الشام. قال الحجاج :أنت من أحسن البلدان وأغضب مكان وأغلظ أبدان قال الغلام: لست منهم قال الحجاج:فمن أين أنت؟ قال الغلام: من اليمن.قال الحجاج:أنت من بلد غير مشكور قال الغلام:ولم ذلك ؟قال الحجاج: لأن صوتهم مليح وعاقلهم يستعمل الزمر وجاهلهم يشرب الخمر. قال الغلام:أنا لست منهم قال الحجاج: فمن أين إذن ؟ قال الغلام:أنا من أهل مكة. قال الحجاج:أنت إذن من أهل اللؤم والجهل وقلة العقل قال الغلام:ولم ذلك ؟ قال: لأنهم قوم بعث فيهم نبي كريم فكذبوه وطردوه وخرج من بينهم إلى قوم أحبوه وأكرموه فقال الغلام: أنا لست منهم.قال الحجاج: لقد كثرت جواباتك عليّ وقلبي يحدثني بقتلك قال الغلام:لو كان أجلي بيدك لما عبدت سواك ولكن اعلم ياحجاج أني من أهل مدينة رسول الله ﷺقال الحجاج: نعمت المدينة أهلها أهل الإيمان والإحسان فمن أي قبيلة أنت ؟ قال الغلام:من ثلي بني غالب من سلالة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكل نسب وحسب ينقطع إلاّ حسبنا ونسبنا فلأنه لا ينقطع إلى يوم القيامة فاغتاظ الحجاج غيظاً شديداً وأمر بقتله . فقال كل من حضر من الوزراء : ولكنه لا يستحق القتل وهو دون سن البلوغ أيها الأمير قال الحجاج:لابد من قتله ولو ينادي منادي من السماء فقال الغلام:ما أنت بنبي حتى يناديك منادي من السماء. فقال الحجاج. ومن يحول بيني وبين قتلك فقال الغلام. يحول بينك وبين قتلي ما يحول بين المرء وقلبه فقال الحجاج. وهو الذي يعينني على قتلك فقال الغلام . كلا إنما يعينك على قتلي شيطانك وأعوذ بالله منك ومنه فقال الحجاج. أراك تجاوبني على كل سؤال فاخبرني ما يقرب العبد من

ربه فقال الغلام. الصوم والصلاة والزكاة والحج فقال الحجاج. ابن من أنت.؟ قال الغلام أنا ابن أبي وأمي. فسأله الحجاج.من أين جئت؟ قال الغلام . على رحب الأرض فقال الحجاج. اخبرني من أكرم العرب؟ قال الغلام:بنو طي.فسأل الحجاج. ولم ذلك؟ قال الغلام:لأن حاتم الأصم منهم. قال الحجاج. فمن اشرف العرب؟ قال الغلام:بنو مضر. قال الحجاج: ولم ذلك؟ قال الغلام: لان محمد صلى الله عليه واله وسلم منهم.قال الحجاج:من أشجع العرب؟ قال الغلام: بنو هاشم لان على بن أبي طالب منهم. قال الحجاج: فمن أنجس العرب وأبخلهم واقلهم خيراُ؟ قال الغلام: بنو ثقيف لأنك منهم وفي الحديث يظهر من بني ثقيف نمرود وكذاب فالكذاب مسيلمة والنمرود أنت فغضب الحجاج وأمر بقتله. فشفع به الحاضرون فشفعهم فيه وسكن غضبه قليلا فقال الحجاج:أين تركت الإبل ذات القرون؟ فقال الغلام:تركتها ترعى أوراق الصوان.فصاح الحجاج به قائلا:يا قليل العقل ويا بعيد الذهن هل للصوان ورق؟ فقال الغلام:وهل للإبل قرون؟ قال الحجاج: هل حفظت القران؟ فقال الغلام:هل القران هارب منى حتى أحفظه فسأله الحجاج:هل جمعت القران ؟ فقال الغلام:هل هو متفرق حتى اجمعه فقال الحجاج:أما فهمت سؤالي؟ فأجابه الغلام:ينبغي لك أن تقول هل قرأت القران وفهمت ما فيه. فقال الحجاج:أخبرني عن آية في القران أعظم؟ وآية أحكم؟ وآية أعدل؟ وآية أخوف؟ وآية أرجى ؟ وآية فيها عشر آيات بينات؟ وآية كذب فيها أولاد الأنبياء؟ وآية صدق فيها اليهود والنصارى؟ وآية قالها الله تعالى لنفسه؟ وآية فيها قول الملائكة؟ وآية فيها قول أهل الجنة؟ وآية فيها قول أهل النار؟ وآية فيها قول إبليس؟ فقال الغلام. أما أعظم آية فهي آية الكرسي. واحكم آية (إن الله يأمر بالعدل والإحسان)، وأعدل آية (فمن يعمل مثقال ذرة خيراُ يره ومن يعمل مثقال ذرة شراُ يره) وأخوف آية (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) وأرجى آية (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا). و آية فيها عشر آيات بينات هي (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) وأما الآية التي كذب فيها أولاد الأنبياء فهي (وجاءوا على قميصه بدم كذب) وهم إخوة يوسف كذبوا ودخلوا الجنة وأما الآية التي صدق فيها اليهود والنصارى فهي (وقالت اليهود ليست

النصارى علي شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) فصدقوا ودخلوا النار والآية التي قالها الله تعالى لنفسه هي (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وآية فيها قول الأنبياء (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وآية فيها قول الملائكة (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم) وآية فيها قول أهل الجنة (الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور) وآية فيها قول أهل النار (ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وآية فيها قول إبليس (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) فقال الحجاج: اخبرني عمن خُلق من الهواء؟ ومن حفظ بالهواء؟ ومن هلك بالهواء؟ فقال الغلام. الذي خلق من الهواء سيدنا عيسى عليه السلام. والذي حفظ بالهواء سيدنا سليمان بن داود عليه السلام . وأما الذي هلك بالهواء فهم قوم هود. فقال الحجاج. أخبرني عمن خلق من الخشب؟ والذي حفظ بالخشب؟ والذي هلك بالخشب؟ فقال الغلام. الذي خلق من الخشب هي الحية خلقت من عصا موسى عليه السلام .والذي حفظ بالخشب نوح عليه السلام ،والذي هلك بالخشب زكريا عليه السلام. فقال الحجاج. أخبرني عمن خُلق من الماء؟ ومن نجا من الماء؟ ومن هلك بالماء؟ فقال الغلام. الذي خلق من الماء فهو أبونا ادم عليه السلام . والذي نجا من الماء موسى عليه السلام. والذي هلك بالماء فرعون فقال الحجاج . فاخبرني عمن خلق من النار ؟ ومن حفظ من النار؟ فقال الغلام: الذي خلق من النار إبليس، والذي نجا من النار إبراهيم عليه السلام فقال الحجاج:إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتغوطون فهل يوجد مثلهم في الدنيا؟ فقال الغلام.الجنين في بطن أمه يأكل ويشرب ولا يتغوط. فقال الحجاج فما أول قطره من دم؟ فقال الغلام هي حيض حواء. فقال الحجاج: فاخبرني عن العقل؟ والإيمان ؟ والحياء؟ والسخاء؟ والشجاعة؟ والكرم؟ والشهوة؟ فقال الغلام. إن الله قسم العقل عشرة أقسام جعل تسعه في الرجال وواحد في النساء والإيمان عشرة تسعه في الجنة وواحد في بقيه الدنيا. والحياء عشرة تسعه في النساء وواحد في الرجال. والسخاء عشرة تسعه في الرجال وواحد في النساء والشجاعة والكرم عشرة تسعه في العرب وواحد في بقيه العالم والشهوة عشرة تسعه في النساء وواحد

في الرجال.فقال الحجاج. اخبرني ما يجب على المسلم في السنة مره؟ فقال الغلام. صيام رمضان . فقال الحجاج وما يجب في العمر مرة ؟ فقال الغلام:الحج إلى بيت الله. فقال الحجاج: اخبرني عن اقرب شيء إليك. فقال الغلام:الآخرة فقال الحجاج من أحق الناس بالخلافة؟ فقال الغلام. الذي يعفو ويصفح ويعدل بين الناس. فقال الحجاج: فاخبرني عن النساء؟ فقال الغلام.أتسألني عن النساء وأنا صغير لم أطلع بعد على أحوالهن ومعاشرتهن ورغائبهن ولكني سأذكر لك المشهور من أمورهن، فبنت العشر سنين من الحور العين، وبنت العشرين نزهه للناظرين، وبنت الثلاثين جنه نعيم، وبنت الأربعين شحم ولين، وبنت الخمسين بنات وبنين، وبنت الستين ما بها فائدة للسائلين، وبنت السبعين عجوز في الغابرين، وبنت الثمانين والتسعين شيطان رجيم وبنت المائة من أصحاب الجحيم فضحك الحجاج وقال : أي النساء أحسن؟ فقال الغلام. ذات الدلال الكامل والجمال الوافر والنطق الفصيح التي يهتز نهدها ويرتاح ردفها. فقال له الحجاج : أخبرني عن أول من نطق في الشعر؟ فقال الغلام : آدم عليه السلام وذلك لما قتل قابيل أخاه هابيل أنشد آدم يقول:

بكت عيني وحق لها بكاها ∴ ودمع العين منهمل يسيح
فما لي لا أجود بسكب دمع ∴ وهابيل تضمّنه الضريح
رمى قابيل هابيلاً أخاه ∴ وألحد في الثرى الوجه الصبيح
تغيرت البلاد ومن عليها ∴ فوجه الأرض مغبر كشيح
تبدل كل ذي طعم ولون ∴ لفقدك يا صبيح يا مليح
أيا هابيل إن تقتل فإني ∴ عليك الدهر مكتئب قريح
فأنت حياة من في الأرض جميعاً ∴ وقد فقدوك يا روح وريح
وأنت رجيح قدر يا فصيح ∴ سليم بل سميح بل صبيح
ولست ميت بل أنت حي ∴ وقابيل الشقي هو الطريح
عليه السخط من رب البرايا ∴ وأنت عليك تسليم صريح

فأجابه إبليس يقول :

تنوح على البلاد ومن عليها ∴ وفي الفردوس قد ضاق بك الفسيح

وكنـــت بهـــا وزوجـــك في نعـــيم ∴ مـــن المولـــى وقلبـــك مســـتريح
خـــدعتك في دهـــائي ثـــم مكـــري ∴ إلى أن فاتـــك العـــيش الرشـــيح

فقال الحجاج: اخبرني عن أجود بيت قالته العرب في الكرم؟ فقال الغلام: هو بيت حاتم الطائي :

وأكـرم الضـيف حتمـا حـين يطـرقني ∴ قبـل العيـال علـى عسـر وايسـار

فقال الحجاج:أحسنت يا غلام وأجملت وقد غمرتنا ببحر علمك فوجب علينا إكرامك ثم أمر له بألف دينار وكسوه حسنه وجاريه وسيف وفرس وقال الحجاج في نفسه إن اخذ الفرس نجا وان اخذ غيرها قتلته فلما قدمها له.ثم قال الحجاج. خذ ما تريد ياغلام فغمزته الجارية.وقالت :خذني أنا خير من الجميع فضحك الغلام وقال ليس لي بك حاجه وانشد يقول:

وقرقعـــة اللجـــام بـــرأس حمـــراُ ∴ أحـــب إلى ممـــا تغمـــزيني[1]
أخـــاف إذا وقعـــت علـــى فراشـــي ∴ وطالـــت علـــتي لا تصـــحبيني
أخـــاف إذا وقعنـــا في مضـــيق ∴ وجـــار الـــدهر بـــي لا تنصـــريني
أخـــاف إذا فقـــدت المـــال عنـــدي ∴ تميلـــي للخصـــام وتهجـــريني

فأجابته الجارية تقول :

معـــاذ الله أفعـــل مـــا تقـــول ∴ ولـــو قطعـــت شمـــالي مـــع يمـــيني
وأكـــتم ســـر زوجـــي في ضـــميري ∴ وأقنـــع باليســـير ومـــا يجـــيني
إذا عاشـــرتني وعرفـــت طبعـــي ∴ ســـتعلم أنـــني خـــير القـــرين

فقال الحجاج : ويلك ألا تستحين تغمزينه وتجاوبينه بالشعر.

فقال الغلام :إن كنت تخيرني فانا اختار الفرس أمـا إن كنـت ابـن حـلال فتعطيني الجميع ،فقال الحجاج: خذهم لا بارك الله لك فيهم ، فقال الغلام:قبلتها لا اخلف الله عليك غيرهم ولا جمعني بك مرة أخرى، قال الغلام:مـن أيـن اخـرج

(١) هذه الأبيات للشاعر:علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو الحسن، الملقب بزين العابدين. رابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع... .وهي من بحر الوافر.

ياحجاج ؟ فأجابه :اخرج من ذاك الباب فهو باب السلام. فقال الجالسون : هذا جلف من أجلاف العرب أتى إليك وسبك وأخذ مالك فتدله على باب السلام ، ولم تدله على باب النقمة والعذاب؟ فقال الحجاج: إنه استشارني والمستشار مؤتمن وخرج الغلام من بين يدي الحجاج سالما غانما بفضل ذكائه وفهمه ومعرفته وحسن اطلاعه(١).

(١) نشرت هذه المادة في صحيفة الشرق المطبوعة العدد رقم (١١٣) صفحة (٧) بتاريخ (٢٦-٠٣-٢٠١٢) وفي كتاب : من نوادر الحجاج ، وهي مذكورة بكل المنتديات والصفحات الأدبية علي شبكة المعلومات الدولية (النت)

بيان تزييف خيال العامة للقصة:ـ

وهذه القصة مخترعة وموضوعة!، وبالتعبير الأدبي منحولة ومكذوبة من خيال العامة!!، ولاشك أنها كانت صغيرة ، ولكن خيال الناس زادها مع الزمن بالأحداث وأضاف إليها!!.

وعلامات نحلها ووضعها ظاهرة فيها في أكثر من موضع أهمها:

أولا: اختلاف روايات القصة في الغلام فمرة تذكر أنه غلام علوي هاشمي !، وثانية تذكر أنه من الخوارج !، وثالثة أنه غلام من البدو والأعراب أهل الصحراء.

ثانيا: التعظيم في الغلام فهو حافظ للقرآن، عالم بتفسيره، ملم بالحديث ،وبأنساب العرب وتاريخ القبائل، لغوي أريب، وفصيح أديب، جامع للشعر متمكن في نقده ، حتى شهد له الحجاج:"أحسنت يا غلام وأجملت وقد غمرتنا ببحر علمك..."، وفي المقابل يحقر من الحجاج ويصغر من شأنه ، ويقابل كل صفة مدح في الغلام بضدها في ذم الحجاج.

ثالثا: الحوار العجيب !!؛ فهو يختلف عما هو معروف من كلام العرب في عصر بني أمية ، وهو عصر قريب من صدر الإسلام ، وهذا الحوار أقرب إلى ما كان معروف ومتداول بين الناس في العصور المتأخرة بداية من العصر العباسي ، ودخول كثير من العجم في الإسلام وتأثيرهم في الأساليب كما يوردها الجاحظ والدينوري.

– كمثال قوله: "يا حامل الأخبار لقد نظرت إليّ بعين الاحتقار وكلمتني بالافتخار وكلامك كلام جبار وعقلك عقل حمار" وما فيه من سجع مبتذل ، وأسلوب ركيك ،وسوء اختيار للألفاظ .

– أيضا انظر إلى قوله "أما إن كنت ابن حلال فتعطيني الجميع"وهو أسلوب عامي سوقي لا يدل علي علم ولا أدب ويتنافي حتي مع عوام هذا العصر الذين كانوا ما زالوا عربا خلصا أهل فصاحة وبلاغة، وهو يتنافي أيضا مع وصف الحجاج للغلام بالعلم والأدب ومعلوم أن الحجاج كان من أفصح أهل زمانه.

رابعا: الأشعار المذكورة سيما التي ليس لها قائل تنسب إليه كالمنسوب لآدم وإبليس والجارية تشيع فيها العامية وهي رديئة وليست بحال من أشعار الفترة

التي عاش فيه الحجاج وهي الفترة الأموية وما يعرف في الأدب بالعصر الأموي وهو عصر له مميزاته وأساليبه وألفاظه وصوره وأخيلته التي لا تتفق أبدا مع هذا الكلام ولا هذا الشعر .

خامسا: الأسئلة التي وجهها الحجاج وإجابات الغلام عنها ،تؤكد وضع القصة ؛لأنها تشبه ما نقرأه في أغاني الأصفهاني وألف ليلة وليلة .

سادسا: هوية الواضع الشيعية واضحة في كل سطر من السطور أنظر إلى قوله "أما السلام فعلى أمير المؤمنين وأصحابه ، يعني السلام على علىّ بن أبى طالب وأصحابه" والتشيع في هذه العبارة صريح، وأنظر إلى هذا السؤال وهذه الإجابة" فقال الحجاج : فمن أشجع العرب ؟ فقال الغلام : بنو هاشم لأن علي بن أبي طالب منهم ."، وهذه أيضاً تحسب علامة على تشيع واضع القصة، كما يعزز هذا أن الحجاج كان مستهدفاً دوما لسهام سخرية مؤلفي الشيعة فجعله راوي القصة أحمق فيستشيره الفتى فيشير عليه بالطريق الذي يهرب منه. – من ناحية أخرى فإن الحديث الذي يرويه الفتي فهو خاطئ وأصله هو من رواية أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها حيث قالت للحجاج "سمعت رسول الله يقول: يخرج من ثقيف كذاب ومبير" فكانت تعني بالكذاب المختار الثقفي الذي أدعى النبوة والمبير الحجاج بن يوسف الثقفي. وهذا أيضاً يؤكد جهل واضع القصة بالحديث المتداول بين أهل السنة[١] .

وعلى هذا فيبدو جليا أن هذه القصة موضوعة ، وضعها قصاص شيعي في نهاية القرن الثالث الهجري على الأقل.

---

(١) صحيح رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٥٤٥ ، وقد شرح الإمام النووي هذا الحديث فقال في آخر الشرح:" وأما قولها في الكذاب (فرأيناه) تعني به المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان شديد الكذب، ومن قبحه إدّعى أن جبريل عليه السلام يأتيه وأتفق العلماء على أن المراد بالكذاب المختار بن أبي عبيد، وبالمبير الحجاج بن يوسف.ينظر: شرح صحيح مسلم للإمام النووي رحمه الله – الجزء الثامن، ط.مكتبة الإيمان المنصورة .

أهم المراجع

- أبوزيد الهلالي ، محمد فهمي عبد اللطيف، سلسلة اقرأ ، دار المعارف ، القاهرة(١٩٤٦م) .
- ألف ليلة وليلة ، ط. سعيد علي الخصوصي (المطبعة والمكتبة السعدية بجوار الأزهر الشريف)،١٩٥١م.
- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة، ١٩٥٩م.
- أخبار النساء،ابن قيم الجوزية،تحقيق:أحمد بن علي،دار المنار ومكتبة فياض.
- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩)، تحقيق/ سهيل زكار، ورياض زركلي. دار الفكر. ١٤١٧م.
- الأنساب ، أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم الصحاري العوتبي (العُمَاني الإباضي)،ط. بوزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عُمان .
- الأغاني،أبوالفرج الأصفهاني، تصحيح:أحمد الشنقيطي ، ط . مطبعه التقدم مصر (١٩١٦م).
- البيان والتبيين ،الجاحظ ، ط.دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- البطولة في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، دار المعارف،القاهرة، (الثانية)، ١٩٧٠م.
- البطل في التراث، د. نوري حمَودي القيسي ، بغداد ، (الأولي)، ١٩٨٨م .
- البداية والنهاية ، ابن كثير، ط. دار عالم الكتب، (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).
- تاريخ الرسل والملوك، أو تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن حرير الطبري، الجزء الأول، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة دار المعارف ١٩٧٩م.
- تاريخ الكنيسة الشرقية، الأب ألبير أبونا، ط. المطبعة العصرية الموصل، ١٩٧٣م .

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبوالحجاج، جمال الدين بن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،(الأولى)، ١٤٠٠هـ ،١٩٨٠م.
- تاريخ مدينة دمشق (تاريخ دمشق) ، ابن عساكر ، دار الفكر.
- تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ، عبد القادر بدران ، طبعة دار المسيرة .
- تاريخ ابن خلكان، ابن خلكان ، طبعه إيران سنه ١٨٦٧ جغرافيا.
- تحفة المجالس ونزهة المجالس ، جلال الدين السيوطي،ط. دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٦م.
- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، شمس الدين محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، الشهير بابن ناصر الدين (ت: ٨٤٢هـ)، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة – بيروت ،(الأولى) ١٩٩٣م .
- الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه ، محمود زيادة ، ط. دار السلام.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أحمد بن عبد الله الأصفهاني أبو نعيم ، مكتبة الخانجي ودار الفكر (١٤١٦هـ ،١٩٩٦م).
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ،عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، نشر: مكتبة الخانجي ،(١٤١٨هـ ،١٩٩٧م)
- ديوان عامر بن الطفيل العامري، شرح أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ، تح: د.محمود عبد الله الجادر وآخر ، دار الشؤون الثقافية بغداد ، ط١، ٢٠٠١م.
- ديوان عنترة ومعلّقته ، تح : خليل شرف الدين ، بيروت،١٩٧٧م
- ديوان الإمام الشافعي ، ط.دار المنار (١٤١٠هـ ،١٩٩٠م).
- ديوان عنتر،ط. بنفقة خليل الخوري صاحب مكتبة الجامعة ، بيروت ١٨٩٣م .
- دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي ،عفت الشرقاوي ، دار النهضة العربية (١٩٧٩م).
- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- شرح صحيح مسلم للإمام النووي ، ط.مكتبة الإيمان المنصورة .

- الشعر والشعراء ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ .
- الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، عبده بدوي ، وزارة الثقافة مصر، ١٩٧٣م.
- شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي ، قدم له مجيد طراد، نشر: دار الكتاب العربي (الأولي) ١٤١٢هـ ،١٩٩٢م
- شرح المعلقات العشر المذهبات، للخطيب التبريزي، تحقيق د. عمر فاروق الطباع ، بيروت: دار الأرقم ، (د. ت).
- شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ،تحقيق: غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية ،(١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م)
- الطبقات الكبير (الطبقات الكبرى) (طبقات ابن سعد) ،محمد بن سعد بن منيع الزهري ،تحقيق: علي محمد عمر ،مكتبة الخانجي ،(١٤٢١هـ ،٢٠٠١م).
- العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق: مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، (١٤٠٤هـ ، ١٩٨٣م) .
- الفروسية في العصر الجاهلي ، د. نوري حمّودي القيسي ، بيروت ـ لبنان ، ط١، ٢٠٠٤م .
- فن تحليل الشخصيات والتعامل معها ،عبد الكريم الصالح ، ص: ٥ ، ١٤٢٧هـ (د.ط).
- كنيسة المشرق، الأب يوسف حبي. بغداد. د.ن. ١٩٨٩م.
- لمحات تاريخية في كتاب العراق ١٩٨٨، نزار عبد اللطيف الحديثي ، الكتاب السنوي للجمهورية العراقية. بغداد دار المأمون، ١٩٨٩م.
- معجم الشعراء ،أبوعبيد الله محمد بن عمران المرزباني ، تصحيح وتعليق: الدكتور ف. كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت (الثانية)، ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي ،أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، تح: عبد الأمير مهنا، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت الأولي (١٤١١هـ ،١٩٩١).

– المستطرف في كل فن مستظرف ، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي المحلي ، مؤسسة التاريخ العربي.
– محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ،الراغب الأصبهاني ،تحقيق: إبراهيم زيدان ،مكتبة الهلال ، ١٩٠٢م.
– مجمع الأمثال ،أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري ،المطبعة الخيرية مصر ١٨٩٣م ،١٣١٠هـ .
– المعاني الكبير في أبيات المعاني،أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق: د.سالم الكرنكوي ، عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان (الأولى)١٤٠٥ هـ ،١٩٨٤م.
– المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق: محمد جاد المولى ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية .
– معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ،١٣٩٩هـ ،١٩٧٩م .
– المسيحية والحضارة العربية، الأب جورج شحادة قنواتي ، نشر:المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (الثانية) ١٩٨٤م .
– نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب ، أبوالعباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ، تحقيق: إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب اللبنانين ، بيروت (الثانية)، ١٤٠٠ هـ ،١٩٨٠ م .
– نهاية الإرب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، تحقيق: مفيد قميحة وآخرين ، دار الكتب العلمية ،١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م .

<u>الدوريات:</u>

– مجلة آداب الرافدين ، العدد: ٧ ، سنة ١٩٧٦م.
– مجلة العربي ، العدد: ٥٩٠ ، يناير ٢٠٠٨م .
– صحيفة الشرق ،العدد :١١٣ ، بتاريخ:٢٦-٣-٢٠١٢م.